

الافتتاحية أيها المسلم

إنك تعاني ما لا يعانيه غيرك من البشر، جهودك تضيّع، وخططك تُغتصل . وتتواتر عليك المصائب دون انقطاع . إن من يقرأ ما كتب عنك ولا يعرفك يخرج بنتيجة حتمية - هذا إذا أُنْصَف - وهي أنك أصبحت منبؤذ هذا العصر ، يتحامّلك الناس في كل مكان ، وينفرون منك لا لشيء ، إلا لأن عقولهم امتلأت بالصور القبيحة التي يرسمها الإعلام لك ، والإعلام في هذا العصر هو السلاح الذي لا يوضع ، وال الحرب المشئومة التي لا تهدأ ، إنك تواجه ضربين من الحروب : أ- ضرب يجيء ويذهب بين الفينة والفينية ، حينما تبلغ الكراهية الذروة ، ويصل الضجيج إلى منتهاه ، ولا يسكن إلا حينما يشفي غليله السنان والحسام والمدفع والدبابة والصاروخ . ب- ضرب هو هذا "العرس الإعلامي" القائم الدائم بفحيحه وضجيجه ، والذي لا يهدأ عن الهجوم على الإسلام : أفكاراً وأشخاصاً .

والضرب الثاني هو الأقسى والأنكى لأنّه الأبقى ، ومع أن الأول آلمه أعم ، وبلايه يحس بها الجميع ، إلا أن الثاني لا يشعر به إلا العلماء وقادّة الفكر وذوّو الحس الحي في الأمة ، الذين يتّلّمون لمصائب غيرهم ويشفّقون من الآتي قبل حلوله .

إنك - أيها المسلم - غدوت ضحية هذه الحضارة المادية العاتية ، تريد أن تطحّنك برحابها ، فتجدك عسر الهضم صعب المكسر ، وهذا من أكبر العزاء لك ، فلتكن ثقتك بالله قوية ، ولا تحقر نفسك وتشكو الضعف ، وتجنب طريقةبني إسرائيل حيث شكوا لموسي عليه السلام الضعف والضراوة والاستكانة : ((قَالُوا أُوذِنَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوكُمْ وَيَسْتَخْلِفُكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ)) [الأعراف ١٢٩] .

أفلس أعداؤك جميّعاً ، مادياً ومعنىّاً ، أفلسوا من الخلق والدين والدنيا ، باعوا دينهم بعرض قليل منزوع البركة ، ينطبق أكثره على نشر الفساد واستئصال المعرفة وإراسة المنكر وإشاعة التقاليد الفرعونية ، كل ذلك خوفاً منك ، وعلاجاً لحضورك الذي يخيف سدنة الفرعنة ، ويهدد تقاليدها العفة ورسومها المنخورة .

فاعرف نفسك - أيها المسلم - واعلم أنك - إن صدق التنبية واستجمعت العزم - كنت اليد التي تُنْفذُ بها إرادة الله في الأرض من سحق الباطل وإنعاش الحق .

إن أعداءك يسلكون في سبيل إضعافك وإلغائك سياسة النفس الطويل والبناء الهدى والمشاعر الباردة التي لا تستثار بسهولة ، اطّو قلبك على كراهية الكفر ورموزه ، واثن جوانحك على مقت الخيانة والمكر التي تجرّب عليك كل حين ، ولكن إياك أن تُستدرّج إلى عمل ينتظره شأنك للإيقاع بك . أجيّل خلافاتك مع من يشاركونك كلمة التوحيد ، ويهدفون مثلك إلى إحياء عقيدة أهل السنة والجماعة ، واستخلاصها من براثن الماسخين والمستغلين ، فأعداء هذه العقيدة أمرهم عَجَبٌ في كثريتهم وتنوعهم واجتماعهم على هذا الهدف ، رغم اختلافاتهم العميقه . وجّه كل جهودك إلى من يريدون حصرك في مفهوم للدين من صنعهم ، فهو لاءهم العدو فاحذرهم ، قاتلهم الله أني يؤفكون . هؤلاء هم وكلاء الاستعمار بين ظهراني المسلمين ، وهم موضع ثقته ، وعيّنة أسراره ، ورواد دهاليزه .

هدية لمكتبة شبكة مشكاة الإسلامية

إياك أن تخدع بدعوى أن بلادنا مستقلة ، حرّة في قراراتها وإراداتها ، تلّفت يمنة تجد ألف دليل ودليل في كل صدق على أننا مكبلون ، يُقرأ لنا ، ويُرسّم لنا ، ويُزَرّع لنا ، ويُصْنَع لنا ، ويُحْفَر لنا . إن صعوبة المرحلة الاستعمارية المكشوفة - مع شراستها ومرارتها - لا تقارن بما يحدث في هذه المرحلة التي أعقبت تلك ، التي يدبر أمرك فيها عدو من جلدتك بقلب مغلوب وعقل مستعار . لقد بان الصبح لذى عينين ، فأنت الذي يحمل الشرعية ، وأمامنا مثالان حاضران من أمثلة كثيرة ، أحدهما في شرق الأرض ، والآخر في غربها .

أما الأول ففي أفغانستان ، حيث أنت الذي قام في وجه الإلحاد الغازي ، وصلّيت بنار الشيوعية قبل أن تولّيك الأدبار تحت شدة ضرباتك الموقفة واستوّصت على ولديها الخديج (١) كل من خبّث من الأوّصياء ، قبل أن تندثر في مقبرة التاريخ .

واما الآخر ففي الجزائر ، لما قام الشعب هناك ، فصحّح خطأ عمره ثلاثة سنّة سلماً لا حرباً ، وأفصح عن إرادته تحت رقابة هؤلاء الذين يغتصبون هذه الإرادة بكل صلافة وصفاقة وبعد عن المعقول حيث :

أجمعوا أمرهم عشاءً فلما أصبحوا أصبحوا لهم موضوعاً

وقالوا : هذا لا يكون ، وما هكذا رجونا أن تكون النتيجة ، "والشعب لم يصوت على شيء"!!
الديمقراطية في خطر . الوحي الوحي ، أدركوها قبل أن يعصف بها الإسلاميون !!
يا الله وهذا الافتراء ! كيف يدان شخص قبل اقترافه الجريمة ؟ ويدان من؟ ومن يداه ملطختان بدماء
الأبرياء ، وجيوبه منتفخة من حقوق المستضعفين !

أيها المسلم :

لا تستغرب ما ترى ، فأنت تعيش في عصر الغرائب والأعاجيب ، وحسبك هذا ليدفعك إلى الصبر والعمل ليل نهار دون كلل ولا ملل ، لا تسمح للإحباط أن يتسلّب إلى نفسك ، فحق لك أن يتعب منك المرجفون ولا تتعب ، وبيأس من ثنيك عن عزيمتك وأهدافك دهافة الباطل ولا تيأس . لا تبال بالآوصاف الكاذبة التي تلتصق بك ، ولا بالأفلام المأجورة التي تنهشك ، ولا تصرفك الدعايات المسمومة التي تلّفّ ضنك عما توجهت له .

يعيرون عليك الاشتغال بالسياسة ؟ وهل شرط المشتغل بالسياسة أن يتخلّى عن دينه ، ويدوس الأخلاق ، ويترك هذا المجال لمحترف في الدجل يرسون دعائمه الفساد ويحوطونها بالشريعات الباطلة ، ويحرسونها بالدساتير والقوانين المفصلة على قدّ نواياهم الخبيثة ، وسلوكهم المنافق ؟ لم هذا التردد والخوف البادي على تعبيراتك وأعمالك كلما سمعت من يتهكم بحب السلطة والحكم مع أنك لم تمارسهما يوماً ، وكأنه عار وشنار تحب أن تتوارى منه ، مع أن غيرك - وهو السفيه الأرعن ، والجاهل الرعديد - تراه واثقاً من نفسه ، لا يفكّر أن توجه له مثل هذه التهمة مع أنه متلبس بهما تلبساً كان أمه ولدته على رقب الناس ؟

إن الباطل لا يستتحر في دنيا الناس ولا يعرّش إلا حينما يراهم يحبون الدعة والراحة والرفاـه الكاذب الذي يُمنّيهـم به ، ويستـحـونـ ما لا يـسـتحـىـ منه ، فيـخـجـلـونـ منـ الرـجـوـلـةـ ، ويـتـفـاخـرـونـ بالـفـرـارـ منـ تـسـمـيـةـ الـأـمـورـ بـأـسـمـائـهـ الـتـيـ وـضـعـهـاـ لـهـاـ الـبـشـرـ الـأـسـوـيـاءـ .

أيها المسلم :

إن الباطل ذا الرؤوس المخيفة الذي يخوّفونـكـ مغبةـ غـضـبـتـهـ لـيـسـ كـمـاـ يـدـعـونـ ، نـعـ ، لـهـ أـسـالـيـبـ جـهـنـمـيـةـ ، وـأـرـواـحـ كـثـيـرـةـ ، سـبـعـةـ أـرـواـحـ! وـلـكـنـهـاـ أـرـواـحـ قـصـيـرـةـ كـأـرـواـحـ القـطـطـ وـالـكـلـابـ ، فـلـاـ تـرـعـكـ غـضـبـتـهـ ، وـلـاـ تـصـرـفـكـ عـنـ طـيـئـاتـ أـسـالـيـبـهـ وـتـجـارـبـهـ ، لـاـ تـتـرـدـ عـنـ الإـصـرـارـ عـلـىـ دـمـغـهـ بـحـقـكـ

فيز هق ويضمحل ، ((وَيَوْمَئِذٍ يُفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرٍ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ)) [الروم ٥٤]

الهوامش :

١- الخديج : المولود الذي يولد ناقصاً .

القواعد الفقهية

عبد العزيز الحويطان
معنى القاعدة لغة واصطلاحاً :

القاعدة لغة: الأساس(١) وتجمع على قواعد وهي : أسس الشيء وأصوله حسياً كان ذلك الشيء أو معنوياً.

قال تعالى : ((وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ...))

وقال تعالى : ((فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانُهُ مِنْ الْقَوَاعِدِ...))

واصطلاحاً : عرفها الجرجاني بأنها "قضية كلية منطبقه على جميع جزئياتها"(٢) .

وقال تاج الدين السبكي : "هي الأمر الكلي الذي ينطبق عليه جزئيات كثيرة تفهم أحکامها منها"(٣) .

إذاً فقد عرفها السبكي بأنها أمر كلي ، لكن الحموي له تعريف آخر فهو يعتبرها أمر أكثرى أو قضية أغلبية فهو يقول : "إن القاعدة هي عند الفقهاء غيرها عند النحاة والأصوليين ، إذ هي عند الفقهاء حكم أكثرى لا كلي ينطبق على أكثر جزئياته لتعرف أحکامها"(٤) .

لكن ما السبب في جعلها حكماً أغلبياً لا كلياً؟

سيأتي معنا بعد قليل أن القاعدة تتخرم في بعض الأمور أي تشذ بعض الفروع فلا تنطبق على القاعدة ، ولذا سميت قضية أو حكماً أغلبياً .

إذاً نستطيع أن نعرفها بأنها "حكم شرعى في قضية أغلبية يتعرف منها أحکام ما داخل تحتها"(٥) .

الفرق بين القاعدة الفقهية والضابط الفقهي :

حتى نعرف الفرق بين القاعدة الفقهية والضابط الفقهي ، يجدر بنا أن نعرف الضابط الفقهي أولاً ، ومنه يتضح الفرق إن شاء الله .

قال العلامة تاج الدين السبكي : "والغالب فيما اختص بباب وقد به نظم صور متشابهة أن يسمى ضابطاً"(٦) .

هذا هو المقصود بالضابط الفقهي ، وهو أنه قاعدة تختص بباب واحد فقط .

أما الفرق بينهما ، فقد قال ابن نجم :

"الفرق بين الضابط والقاعدة : أن القاعدة تجمع فروعاً من أبواب شتى ، والضابط يجمعها من باب واحد ، هذا هو الأصل"(٧) . وأكد ذلك السيوطي - رحمه الله - في كتابه الأشباه والنظائر حيث قال:

"القاعدة تجمع فروعاً من أبواب شتى والضابط يجمع فروع باب واحد"(٨) .

وحتى يتضح الأمر تماماً دعنا نضرب مثالاً للضابط الفقهي ، وهو حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - : "أيما إهاب دبغ فقد طهر"(٩) . فهذا الحديث يعتبر

ضابطاً لطهارة الجلود في باب الآنية ، لذلك يقول الإمام إبراهيم النخعي -رحمه الله- : " كل شيء منع الجلد من الفساد فهو دباغ" (١٠) .

أما مثال القاعدة فهي قاعدة "الأمور بمقاصدها" نجد أنها تدخل في أغلب أبواب الفقه إن لم يكن جميعها..

بهذا تكون قد وقنا على الفرق بين الضابط والقاعدة في الفقه ، وهذا لا يمنع أن يكون بعض العلماء قد ساروا في كتبهم على عدم التفريق بينهما .

الفرق بين القاعدة الفقهية والقاعدة الأصولية :

أول من وجد له كلام عن التفريق بين القاعدة الفقهية والقاعدة الأصولية الإمام القرافي -رحمه الله- ، حيث يقول :

"فإن الشريعة العظيمة المحمدية اشتغلت على أصول وفروع ، وأصولها قسمان :

١- المسمى بأصول الفقه وهو في غالب أمره ليس فيه إلا قواعد الأحكام الناشئة عن الألفاظ العربية خاصة ، وما يعرض لتلك الألفاظ من النسخ والترجيح ونحو الأمر للوجوب والنهي للتحريم ، والصيغة الخاصة للعلوم ونحو ذلك ...

٢- قواعد فقهية كلية ، كثيرة العدد عظيمة المدد ، مشتملة على أسرار الشرع وحكمه ، لكل قاعدة من الفروع في الشريعة ما لا يحصى ، ولم يذكر شيء منها في أصول الفقه ، وإن اتفقت الإشارة إليه هناك على سبيل الإجمال فبقي تفصيل لم يحصل" (١١) . إذا فالشريعة من أصولها أصول الفقه والقواعد الفقهية كما قال القرافي .

ولو أنعمنا النظر في القواعد الأصولية والقواعد الفقهية ، لوجدنا بينها فروق نذكرها على سبيل الإيجاز :

١- أن أصول الفقه بالنسبة للفقه ميزان وضابط لاستنباط الصحيح ، شأنه في ذلك شأن علم النحو لضبط النطق والكتابة ، فهي التي يستتبعها الحكم من الدليل التفصيلي وموضوعاتها دائماً الدليل والحكم ، كقولك : الأمر للوجوب والنهي للتحريم والواجب المخير يخرج المكلف من العهدة فيه بفعل واحد مما خير فيه . أما القاعدة الفقهية فهي كلية تنطبق على جميع جزئياتها ، وجزئياتها بعض مسائل الفقه ، وموضوعاتها دائماً هو فعل المكلف .

٢- القواعد الأصولية كلية تنطبق على جميع جزئياتها ، أما القواعد الفقهية فإنها أغلبية وتكون لها المستثنيات .

٣- القواعد الأصولية ذريعة لاستنباط الأحكام الشرعية ، أما القواعد الفقهية فهي عبارة عن مجموعة الأحكام المتشابهة التي ترجع إلى علة واحدة تجمعها .

٤- القواعد الفقهية متاخرة في وجودها الذهني والواقعي عن الفروع ، لأنها جمع لأشتاتها وربط بينها ، أما الأصول فالغرض الذهني يقتضي وجودها قبل الفروع لأنها الفيود التي أخذ الفقيه نفسه بها عند الاستنباط" (١٢) .

هذه هي أهم الفروق بينهما ، ولعلها اتضحت إن شاء الله . ويبقى أن نذكر أن من أهم مميزات القواعد الفقهية أنها تخدم المقاصد الشرعية العامة والخاصة ، وتمهد الطريق للوصول إلى أسرار الأحكام وحكمها (١٣) .

معنى الأشباه والنظائر :

هذا المبحث لأول وهلة يظن المرء أن لا دخل له في القواعد الفقهية ، لكن كتب الأشباه والنظائر مليئة بالقواعد الفقهية وفنون أخرى ، ولذلك أحق بهذا البحث . فما تعريف الأشباه؟؟

- كلمة شبه أو شبهة هي المثل في اللغة (١٤) ، والنظير : المثل المساوي (١٥) .

هديّة لمكتبة شبكة مشكاة الإسلامية

أما اصطلاحاً فقد عرف تاج الدين السبكي -رحمه الله- الأشباء : "إن الأشباء : هو أن يجتذب الفرع أصلان ويتنازعه مأخذان فينظر إلى أولاهما وأكثرهما شبهاً فيلحق به^(١٦) . مثال ذلك : "إحراق العبد المقتول بالحر ، فإن له شبهاً بالفرس من حيث المآلية وشبهاً بالحر لكن مشابهته بالحر في الأوصاف والأحكام أكثر فألحق بالحر^(١٧) .

وقد عرف الحموي الأشباء فقال : "المراد بها المسائل التي يشبه بعضها بعضاً مع اختلاف في الحكم لأمور خفية أدركها الفقهاء بدقة أنظارهم ، وقد صنعوا لبيانها كتاباً كثراً كفروق المحبوب والكرابيسي"^(١٨)

إذاً فالأشباء هي الفروع المشابهة ظاهراً والمختلفة باطنأ لعله معينة ، وأصل هذه الكلمة يرجع إلى كتاب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري حيث جاء فيه : "الفهم الفهم فيما يختلف في صدرك مما لم يبلغك في الكتاب والسنة ، اعرف الأمثل والأشباء ، ثم قس الأمور عند ذلك ، فاعمد إلى أحبابها إلى الله وأشبهاها بالحق فيما ترى"^(١٩) .

هذا فيما جاء في أصل هذه الكلمة ، أما كلمة النظائر فلم يرد فيها أثر ، لكن الفقهاء أضافوها إلى كلمة الأشباء مقابلة لها ، وذلك أنهم أفسدوا فقهية عبارة عن أحكام مشابهة مع وجود بعض الفروق بينها^(٢٠) .

فالفرق أقاموا كلمة النظائر بدلها ، وبعض المؤلفين ألف كتاباً وسمواها الفروق ، بينما بعضهم ألف في نفس الفن وجاء بالأشباء والنظائر ، ولذلك يقول السيوطي : "والمناظرة تكفي في بعض الوجوه ولو وجهاً واحداً"^(٢١) .

أما أول من ألف في الفروق فهو الإمام أحمد بن عمر بن سريح الشافعي (٣٠٦ هـ) ثم توالى التأليفات بعده^(٢٢) .

وقد عرف صاحب الفوائد الجنية الفروق فقال : "معرفة الجمع والفرق : أي معرفة ما يجتمع مع آخر في الحكم ، ويفترق معه في حكم آخر كالذمي والمسلم يجتمعان في أحكام ويفترقان كذلك ، ومن هذا الفن نوع يسمى الفروق : وهو معرفة الأمور الفارقة بين مسألتين مشابهتين بحيث لا يسوى بينهما في الحكم"^(٢٣) .

وقال أبو محمد الجوني : "فإن مسائل الشرع ربما تتشابه صورها ، وتختلف أحكامها لعل أوجبت اختلاف الأحكام ، ولا يستغني أهل التحقيق عن الإطلاع على تلك العلل التي أوجبت افتراق ما افترق منها واجتماع ما اجتمع منها"^(٢٤) .

ومن الأمثلة على ذلك : "إذا طرح في الماء تراب فتغير به طعمه أو لونه أو ريحه ، لم يسلبه التطهير ، ولو مزج فيه طاهر غير التراب كالزعران والعصفر والصابون والملح الحجري فتغير بمخالطته بعض صفاتيه سلبه التطهير ، والفرق بينهما أن التراب يوافق الماء في صفتية الطهارة والتطهير ، فلا يسلبه بمخالطته شيئاً منها..."^(٢٥) .

ومما سبق يتبيّن أن علم الأشباء والنظائر هو نفسه الفروق ، وهذا يشملان القواعد الفقهية ، لأن علم الأشباء والنظائر يحوي الألغاز والحيل وفنوناً عديدة منها القواعد الفقهية..

"يتبع" الهوامش :

١- المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص ٤٠٦

٢- التعريفات للجرجاني ص ١٧١

٣- القواعد الفقهية لعلي أحمد الندوبي

٤- غمز عيون البصائر شرح الأشباء والنظائر ٢٢١

هدية لمكتبة شبكة مشكاة الإسلامية

- ٥- القواعد الفقهية لعلي أحمد الندوي ص ٤٣
- ٦- القواعد الفقهية
- ٧- الأشباء والنظائر لابن نجيم ص ١٩٢
- ٨- أخرجه الترمذى ، كتاب اللباس ، باب ما جاء في جلود الميّة إذا دبغت ، وقال : حديث حسن صحيح .
- ٩- الآثار لأبي يوسف ص ٢٣٢
- ١٠- الفروق للقرافي ٣-٢/١
- ١١- انظر القواعد الفقهية ص ٥٨-٦١ ، للإطلاع على مزيد من هذه الفروق .
- ١٢- مصدر سابق ص ٦١
- ١٣- تاج العروس ٣٩٣/٩
- ١٤- مصدر سابق
- ١٥- الأشباء والنظائر ص ١٧
- ١٦- كشف اصطلاحات الفنون ١٧٣/٤
- ١٧- غمز عيون البصائر
- ١٨- سنن الدارقطني ٢٠٦/٤ وسنن البيهقي ١١٥/١٠
- ١٩- القواعد الفقهية ص ٦٨
- ٢٠- الحاوي للفتاوى ٢٧٣/٢
- ٢١- القواعد الفقهية
- ٢٢- الفوائد الجنية ٨٧/١
- ٢٣- القواعد الفقهية للندوي ص ٧٣ ، وعزاه إلى كتاب الفروق للجويني - شريط مصور .
- ٢٤- القواعد الفقهية ص ٧٤ ، وعزاه إلى كتاب الفروق للسامري - شرط مصور .
- ٢٥- أخرجه البخاري ، كتاب الديات ، باب : المعدن جبار والبئر جبار ٢٥٣٣/٦ ترقيم البنا .

أثر الضعف الخلقي في سقوط الأندلس

د. حمد بن صالح السحيباني

حينما دخل المسلمون الفاتحون بلاد الأندلس، كانوا قد انصهروا في بوتقة الإسلام ، حيث تأدبوه بأدابه ، فاتبعوا أوامره، واجتبوا نواهيه ، كما مثلوا أخلاقياته وما يدعوه إليه من قيم سامية واقعاً ملماساً، أدركها جميع أهل تلك الديار، فأعجبوا بها . فقد قال أحد قادة لذريق في رسالة بعث بها إليه يصف بها جيش المسلمين الأول الذي عبر إلى الأندلس بقيادة طارق بن زياد: "لقد نزل بأرضنا قوم لا ندرى أهبطوا من السماء أم نبعوا من الأرض"(١) .

وقد بقي المسلمون خلال القرون الثلاثة الأولى من وجودهم هناك، محافظين على تلك القيم، معتززين بها . ولكن مع مضي الزمن بدأ البعض منهم بالتحلل منها مما أفقدهم شيئاً من مقومات أصالتهم وجودهم هناك وقد أدرك هذه الحقيقة ابن خلدون حين قال: "إذا تأذن الله بانقراض الملك من أمة حملهم على ارتكاب المذمومات وانتحال الرذائل وسلوك طريقها ، وهذا ما حدث في الأندلس وأدى فيما أدى إلى ضياعه"(٢) .

كما أدركها كوندي - أحد الكتاب النصارى - حيث قال : "العرب هُوَوا عندما نسوا فضائلهم التي جاؤوا بها ، وأصبحوا على قلب متقلب يميل إلى الخفة والمرح والاسترسلام بالشهوات"(٣) .

هدية لمكتبة شبكة مشكاة الإسلامية

وصدق الله العظيم إذ يقول ((وإذا أردنا أن نهلك قريةً أمرنا مُترفيها ففسقوا فيها فحق علیها القول فدمّرناها تدميراً)) [الإسراء ١٦].

ومنذ أن بدأ الضعف في الجانب الخلقي عند بعض مسلمي الأندلس بالظهور كعرض من أعراض بعدهم عن منهج الله انتاب الوجود الإسلامي هناك نوع من الضعف وذلك لأن كل تقدم حضاري وسياسي وسموه فكري وارتفاع معنوي وأية عزة في السلطان كان مرده إلى التمسك بالإسلام ، ومرتها بمقدار الالتزام بشريعته(٤) .

ولما كان هذا العامل من أهم عوامل سقوط بلاد الأندلس رأيت أن أكتب حول هذا الموضوع حيث سأقوم - بعون الله - برصد هذه الظاهرة منذ بدايتها كعامل أثر على الواقع السياسي والعسكري للمسلمين هناك، منذ عصر ملوك الطوائف حتى خروج المسلمين من تلك الديار. ونظراً لتشعب الموضوع فإن دراستي هذه ستقتصر على عصر ملوك الطوائف وذلك لأن المرحلة الأولى من مراحل سقوط الأندلس بدأت فيه آملاً أن تناح لي الفرصة مستقبلاً لإكمال رصد تلك الظاهرة حتى نهايتها .

وفي البداية قد يكون من المناسب أن نبين قبل حديثنا عن عوامل سقوط بلاد الأندلس حقيقة تاريخية هامة وهي :

أن سقوط الأندلس بيد العدو النصراني لا يعني سقوط مملكة غرناطة التي كان يحكمها بنو الأحمر فحسب ؛ بل إن الأمر أعم من ذلك وأشمل ، فسقوط الأندلس بدأ حقيقة في وقت مبكر من تاريخ المسلمين بتلك الديار ، حيث يستطيع الراسد لذلك التاريخ أن يقول : إن بداية الانحسار الإسلامي في الأندلس كان منذ أن سقطت الدولة الأموية هناك ، وبعد أن قام على أنقاضها العديد من الدوليات الإسلامية المتناحرة التي صورها الشاعر بقوله(٥) :

مما يزهني في أرض أندلس أسماء معتمد فيها ومعتضد
الألقاب مملكة في غير موضعها كالهر يحيى انتفاحاً صورة الأسد

ولعل مما يؤكد هذه الحقيقة أن مسلمي بلاد الأندلس لم يتمكنوا من الدفاع عن أنفسهم بعد سقوط الخلافة الأموية هناك بل بقوا متذارعين متذارعين فيما بينهم حتى بدأ الضعف بهم واضحاً نتيجة لتزايد الخطر النصراني ضدهم ، الأمر الذي دفعهم إلى الدخول في سلطان دولة المرابطين ثم الموحدين ، ثم الاعتماد بعد ذلك على المساعدات المرinية بشكل قوي وملموس .

وتتأكد هذه الحقيقة إذا تذكرنا أن الخطر النصراني ازداد ضد المسلمين هناك حينما ضعفت مساعدات مسلمي المغرب لإخوانهم مسلمي الأندلس .

وبعد هذه المقدمة السريعة - فإنه بوسعنا أن نقول أن سقوط مدينة طليطلة سنة ٤٧٨ هـ

(٦) كان مقدمة لسقوط غرناطة سنة ٨٩٧ هـ (١٤٩١م)(٧) وأن تراجع مسلمي الأندلس نحو الجنوب منذ القرن الخامس كان هو الخطوة الأولى لعبورهم إلى الشمال الأفريقي في آخر القرن التاسع الهجري ، كما أن غياب أمثال طارق بن زياد وموسى بن نصير والسمح بن مالك وعبد الرحمن الغافقي وغيرهم عن الساحة الإسلامية قد أتاح الفرصة لظهور مثل رذريل (القميبيطور) والفنسو الثامن ، والفنسو الحادي عشر ، وفراندش الخامس وغيرهم من زعماء النصارى الذين تولوا قيادة الجيوش النصرانية التي تولت مهمة حرب استرداد الأندلس كما يسمونها .

وقد أدرك هذه الحقيقة الشاعر الأندلسي المسلم الذي هز وجданه سقوط طليطلة سنة ٤٧٨ هـ (١٠٨٥)

(٨) فعرف أن ذلك له ما بعده حيث قال محذراً إخوانه المسلمين هناك :

حثوا رواحك يا أهل اندلس فما المقام بها إلا من الغلط

هدية لمكتبة شبكة مشكاة الإسلامية

السلوك يُنثر من أطرافه وأرى سلوك الجزيرة منتشرًا من الوسيط من جاور الشر لا يأمن عواقبه كيف الحياة مع الحيات في سفط وهذا نرى أن بداية الانحدار ل المسلمين الأندلس كان في عهد ملوك الطوائف ، وأن الضعف الذي حل بهم كان ضربة موجعة لم يستطعوا التخلص من آثارها بعد ذلك بالرغم من التئام شملهم النسبي في عهدي المرابطين والموحدين .

ومما لا شك فيه أن هذا الضعف التدريجي الذي أدى في النهاية إلى خروج المسلمين من تلك الديار ، لم ينشأ من فراغ ، كما لم يكن ولد يومه أو ليته ، بل إنه كان نتيجة لعدة عوامل وأسباب نشأت في ظروف معينة، فلما نمت وترعرعت تمخض عنها ضعفهم، وخروجهم من الأندلس ، ويمكن

إجمال تلك العوامل والأسباب فيما يلي :

- ١ - انحراف كثير من مسلمي الأندلس عن منهج الله .
- ٢ - موالاة العدو النصراني والتخلّي عن الجهاد .
- ٣ - انعدام الوحدة السياسية بينهم .
- ٤ - تكالب القوى النصرانية ضدهم .

هذه أهم عوامل سقوط بلاد الأندلس، ويعتبر الضعف في الجانب الخلقي عند المسلمين هناك أحد النتائج التي تمخضت عن العامل الأول وقد كان لها هذا الضعف أكثر من مظاهر وصوره ولعل من أهمها:

- * الأنانية وحب الذات .
- * التشبه بالعدو وتقليله .
- * انتشار المجون والخلاعة بين المسلمين .

ولهذا سيكون حديثي عن هذا الموضوع من خلال هذه المحاور الثلاثة ، حيث سأبدأ أولاً برصد هذه الظاهرة منذ بداية ظهورها ، ثم انعكاسات ذلك على المجتمع الإسلامي في الأندلس ، وآثارها على القوتين السياسية العسكرية عندهم .

الأناية وحب الذات

مما لا شك فيه أن الإيثار والتعاون من أهم سمات المجتمع الإسلامي ، فقد دعا الإسلام إلى هذا الأمر وأصله في نفوس المسلمين ، قال تعالى : ((وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَحِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شَحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)) [الحشر ٩] .

وقد دخل المسلمين الفاتحون إلى بلاد الأندلس بهذه الأخلاق الطيبة ، كما تربى أفراد المجتمع الإسلامي هناك على هذا الخلق الإسلامي الأصيل عامتهم وخاصتهم ، ولهذا قال أحد الباحثين : "بقينا في الأندلس ما بقينا مع الله ، وضاعت الأندلس لما أضعننا طريق الله ، بقينا في الأندلس بهمة عبد الرحمن الداخل الذي قال لما نزل من البحر إلى بر الأندلس وقد قدم إليه خمر ليشرب فأبى وقال : إنني محتاج لما يزيد في عقلي لا لما ينقصه ، فعرف الناس من ذلك قدره ، ثم أهدى إليه جارية جميلة فنظر إليها وقال : إن هذه لمن القلب والعين بمكان ، وإن أنا لهوت عنها بمهمتي فيما أطلبه ظلمتها ، وإن لهوت بها بما أطلبه ظلمت مهمتي فلا حاجة لي بها الآن(٩)" .

وقد سار المسلمون بالأندلس على هذا النهج حتى آخر عمر الدولة الأموية حيث يذكر ابن عذاري أن المنصور بن أبي عامر كان يسهر على مصالح رعيته وكانت متابعته لأمور رعيته تستنفذ منه كل وقته لدرجة أنه كان لا ينام إلا سوييعات قليلة متفرقة فلما قيل له: قد أفرطت في السهر وبذك

يحتاج إلى أكثر من هذا النوم ، أجاب قائلاً : إن الملك لا ينام إلا إذا نامت الرعية ، ولو استوفيت نومي لما كان في دور هذا البلد العظيم عين نائمة (١٠) .

وفي آخر عمر الدولة الأموية ضعف تمسك الناس بكثير من الأخلاق الإسلامية ، فانعكست آثار ذلك على المجتمع الإسلامي فضلاً عن الدولة الأموية التي بدأت تظهر عليها علامات الهرم والشيخوخة حينما خف اعتبارها عند الناس ، لأن قادتها فقدوا واحداً من أهم مقومات دولتهم حيث يذكر المؤرخون أنه حينما أعلن سقوط الدولة الأموية في قرطبة سنة ٤٢٢ هـ مشى البريد في الأسواق والأرباض بآلا يبقى أحد من بنى أمية بقرطبة ولا يكنفهم أحد من القرطبيين (١١) . وبعد أن قامت دولة ملوك الطوائف على أنقاض الدولة الأموية ازداد الأمر سوءاً حيث تنافس أولئك القوم على السلطة ، وتناحروا من أجلها ، فانتشر بينهم العداء المستحكم والخصام الدائم ، فالكثير منهم لا هم له إلا تحقيق مصلحته الذاتية وإشباع أنانيته ، وثبتت أقدامه في السلطة ولو على حساب مصلحة المسلمين ، وكان الأندلس إنما وجدت له ولمصلحته الذاتية مهما كان قصير العمر ، ذليل المكانة مهزوز القواعد (١٢) ، ولهذا جعل الله بين أولئك الملوك والأمراء من التحاسد والتنافس والغيرة ما لم يجعله بين الضرائر المترفات ، فلم يتعاونوا على بر أو تقوى أو يسعوا لمصلحة إسلامية ، بل انصبت كل جهودهم على توفير ما يخدم مصالحهم الخاصة (١٣) . هكذا كان واقع أولئك القوم، ويجد الدارس لتاريخهم العديد من الأمثلة والحوادث التي تدل على صحة ذلك وعلى أنهم انشغلوا بأمورهم الخاصة وغفلوا عن الخطر النصراني الذي كان يتهدد هذه الجهة الشمالية من بلادهم ، ومن الأمثلة على ذلك أنه حينما أغارت فرناندو ملك ليون على بطليوس بلاد المظفر بن الأفطس فدمرها ، واستباح حريمها ، وانتهب أموالها ورد خبرها على المأمون بن ذي النون صاحب طليطلة ، ولما دخل عليه وزيره أبو المطراف بن مثنى بعد وصول الخبر إليه وجده شديد الإطراف والضيق . وأخذ يفرج عنه معتقداً أن ما أصابه من ضيق كان بسبب ما سمعه مما أصاب المسلمين في بطليوس ، فلما فهم مقصد ابن مثنى منه أعرض عن وقال له : ألا ترى هذا الصانع - يعني عريف بنيانه - صبرت له وأغضيتك له لكنه لا يمتثل لأمر يرين غص على لذتي ويستخف بإمرتي (١٤) .

ولما تزايد الخطر النصراني ضد مسلمي الأندلس بعد حادثة بربشتير سنة ٤٥٦ هـ وجه أبو حفص عمر بن حسن الهوزني (١٥) رسالة إلى المعتصم ابن عباس (٤٣٣ - ٤٦٢ هـ) دعاه فيها إلى الجهاد ، كما بين فيها شدة معاناة المسلمين ، وسبب تزايد الخطر النصراني عليهم ، وأنه لا خلاص للمسلمين من واقعهم المر إلا بالرجوع إلى ميدان الجهاد ومما جاء في تلك الرسالة :

أعبد جل الرزء والقوم هجع على حالة من مثلها يُتَوَقَّعُ

فَلَقَّ كَتَابِي مِنْ فِرَاغِكَ سَاعَهُ وَإِنْ طَالْ فَالْمُوْصَوْفُ لِلْطُولِ مَوْضِعُ

وكتابي عن حالة يشيب لشهودها مفرق الوليـد ، كما يغير لورودها وجه الصعيد ، بدؤها ينسف الطــريف والتــلــيد، ويــســتأــصل الوــالــد والــوــلــيــد، تــذــرــ النساء أــيــامــيــ وــالأــطــفــالــ يــتــامــيــ (١٦)

هــكــذــا نــبــهــ أــبــو حــفــصــ الــهــوــزــنــيــ اــبــنــ عــيــادــ إــلــىــ الــخــطــرــ الــمــحــدــقــ بــالــمــســلــمــيــنــ هــنــاكــ ،ــ كــمــاــ بــيــنــ لــهــ أــنــ الــخــلــاصــ مــنــ ذــلــكــ الــمــأــزــقــ لــاــ يــتــمــ إــلــاــ بــالــتــخــلــيــ عــنــ الــذــاتــ ،ــ وــجــعــ الــجــهــادــ هــوــ الــهــاجــســ الــدــائــمــ لــالــمــســلــمــيــنــ هــنــاكــ عــاــمــتــهــمــ وــخــاــصــتــهــمــ.ــ وــيــذــكــرــ الــمــؤــرــخــوــنــ أــنــ مــوــقــفــ اــبــنــ عــبــادــ مــنــ تــلــكــ الرــســالــةــ كــانــ ســيــئــاــ ،ــ فــمــاــ إــنــ تــلــقــاــهــاــ حــتــىــ أــرــســلــ إــلــىــ الــهــوــزــنــيــ يــســتــدــعــهــ لــلــقــدــوــمــ إــلــىــ أــشــبــيلــيــةــ ،ــ فــلــمــ قــدــمــ إــلــيــهــ أــخــذــ يــســعــيــ لــلــقــضــاءــ عــلــيــهــ حــتــىــ تــمــكــنــ مــنــ قــتــلــهــ ســنــةــ ٤٦٠ــ هــ (١٧)ــ.

هدية لمكتبة شبكة مشكاة الإسلامية

وبالإضافة إلى هذه الحادثة فقد ذكر المؤرخون العديد من الأمثلة التي قام بها المعتصم بن عياد من أجل تثبيت قدميه في السلطة حينما يرى أن سلطانه أصبح في خطر حيث تطاول على العديد من القادة والعلماء كما قتل ابنه من أجل هذا الغرض^(١٨).

وكان ملوك الطوائف يسعون دائماً إلى إيجاد ما يدعون به ملكهم ويثبت أقدامهم في السلطة ، ومن ذلك بذلهم العطاء الوافر للشعراء والأدباء الذين يقولون قصائد them في مدحهم ، وقد أسرفوا في هذا الأمر إسراهاً لا مثيل له ، وعلى سبيل المثال فقد منح المعتصم بن عباد الشاعر عبد الجليل بن وهنون ألفين من الدنانير على بيته من الشعر ، بينما منح المعتصم بن صمادح قريمة بأكملها للشاعر أبي الفضل جعفر بن أبي عبد الله بن مشرف حينما أنسده قصيده التي مطلعها :

قامت تجر ذيول العصبي والجبر ضعيفة الخصر والميثاق والنظر

ولما بلغ منها قوله :

لم يبق للجور في أيامهم أثر إلا الذي في عيون الغيد من حوار
قال المعتصم : " لقد أعطيتك هذه القرية نظير هذا البيت الواحد ووقع له بها وعزل عنها نظر كل
وال "(١٩).

وقد ذكر عن علي بن مجاهد صاحب دانية أنه " طلب السُّلْمُ وأغمد السيف وكانت همته في خراج
يَجْبِيهِ ومتجر يُنْمِيهِ "(٢٠).

وهكذا يتبيّن لنا من خلال هذه الأمثلة التي ذكرناها أن الأنانية وحب الذات قد تأصلت عند ملوك
الطوائف حتى أصبحت خلقاً مأولاً لدى الكثير منهم يصعب عليهم التخلص منها أو السعي لغيرها .
وهذا بلا شك كان من أكبر معاول الهم التي أصابت قوة المسلمين في تلك الفترة ، وقد أدرك هذه
الحقيقة عدد من مؤرخي تلك الفترة ، فقال ابن حيان شيخ مؤرخي الأندلس: " دهرنا هذا قد غرب
أهلية أشد غربلة فسفف أخلاقهم ، وسفه أحلامهم ، وحيث ضمائرهم ... فاحتوى عليهم الجهل ،
يعملون نفوسهم بالباطل .. "(٢١) .

كما عد ابن حزم هذا الانحراف الذي مني به ملوك الطوائف بأنه منزلق خطير ، وظاهرة لها ما
بعدها من الآثار السلبية حيث قال : " اللهم إننا نشكوك إليك تشاغل أهل المالك من أهل ملتنا بدنياهم
عن إقامة دينهم ، وبعمارة قصور يتركونها عما قريب ، عن عمارة شريعتهم الازمة لهم في
معادهم ودار قرارهم ، وبجمع أموال ربما كانت سبباً في انقراض أعمارهم وعوناً لأعدائنا عليهم
عن حاجة ملتهم حتى استشرف لذلك أهل القلة والذمة ، وانطبقت السنة أهل الكفر والشرك "(٢٢) .
وبالإضافة إلى هذا فقد ذكر ابن حزم في موضع آخر أن الأنانية وحب الذات قد تأصلت في نفوس
أولئك الحكام حتى كأن الأندلس إنما خلقت لهم ولتحقيق رغباتهم ، وأنهم يقدمون في هذا السبيل
ومن أجل هذا الغرض تنازلات كبيرة حيث قال في ذلك : " والله لو علموا أن في عبادة الصليبان
تمشية أمرورهم بادروا إليها ، فنحن نراهم يستمدون النصارى فيما ينحوه من حرم المسلمين
وابنائهم ... وربما أعطوه المدن والقلاع طوعاً فأخلوها من الإسلام وعمروها
بالنواقيس "(٢٣) .

وهكذا نرى كيف أن الأنانية وحب الذات عند ملوك الطوائف قد جعلتهم يقدمون التنازلات
الكثيرة للنصارى من أجل البقاء في السلطة حتى ولو كان ذلك على حساب مصلحة المسلمين
العامة .

"يتبع"
المصادر:

- ٢- مقدمة ابن خلدون ٤٤٦/٢
- ٣- شوقي أبو خليل ، عوامل النصر والهزيمة عبر تاريخنا الإسلامي ص ١٢٢
- ٤- عبد الرحمن الحجي ، التاريخ الأندلسى ص ٥٧٤
- ٥- مقدمة ابن خلدون ٧٥٢/٢ ، ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ١٤٤/٢
- ٦- ابن الكردبوس ، تاريخ الأندلس ص ٨٥ ، المقرى نفح الطيب ٤٤١/١
- ٧- مؤلف مجهول ، نبذة العمر ص ٤٢-٣٩ ، المقرى ، أزهار الرياض ٦٦/١ ، نفح الطيب ٥٢٥/٤
- ٨- ابن سعيد ، رأيات المبرزين ص ٥٠ ، المقرى نفح الطيب ٢٥٣/٤
- ٩- شوقي أبو خليل ، عوامل النصر والهزيمة عبر تاريخنا الإسلامي ص ١٢٣١-١٢٢
- ١٠- البيان المغرب ٢٩٨/٢
- ١١- ابن بسام ، الذخيرة ٥٢٧/٣ ، ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ص ١٣٩ . ويتأكد لنا أهمية هذا الأمر إذا تذكرنا ما كان للأمويين من اعتبار قوي عند الناس قبيل قيام دولتهم في الأندلس .
- ١٢- الحجي ، التاريخ الأندلسى ص ٣٣٢
- ١٣- ابن الخطيب ، أعمال الأعلام القسم الثاني ص ٢٤٤
- ١٤- ابن بسام ، الذخيرة ق ٤ ١٤٨-١٤٧/١
- ١٥- وهو أبو حفص عمر بن حسن الهوزني من علماء الأندلس المشهورين ولد سنة ٣٩٢ هـ ، واهتم بطلب العلم منذ صغره ، وتدقق في كثير من العلوم حيث أخذ من كل علم بطرف وافر ، (ابن بشكوال ، الصلة ٢ / ٤٠٢ - ٤٠٣) .
- ١٦- ابن بسام ، الذخيرة ق ٢ ٨٦-١٨٣
- ١٧- ابن بشكوال ، الصلة ٢٠٤/١
- ١٨- انظر في تفصيلات هذه الحوادث كلا من ابن بسام ، الذخيرة ق ٢ ج ١ ص ١٤٧ - ١٥٠ ، ابن عذاري ، البيان المغرب ٣ / ٢٤٤ - ٢٤٨ ، المراكشي ، المعجب ص ١٤٧
- ١٩- ابن بسام ، الذخيرة ق ج ٤ ١٩٢/١ ، بالنتيا ، تاريخ الفكر الأندلسى ص ٩٨
- ٢٠- رجب عبد الحليم ، العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية ص ٢٩٦
- ٢١- ابن بسام ، الذخيرة ق ٣ ج ١٨٨-١٨٩ (نقلًا عن ابن حبان)
- ٢٢- ابن حزم ، رسائل ابن حزم تحقيق إحسان عباس ١٤/٣
- ٢٣- رسائل ابن حزم ١٧٦/٣

مبادرة كارتر: أسلوب جديد للتنصير

د. حسن علي أحمد

يبدو أن مشاغل جيمي كارتر هذه الأيام أكثر بمرات عديدة منها أيام فترته الرئاسية لأمريكا. هذه حقيقة مع فارق بسيط . فمع كثرة المشاغل والمتابع إلا أنه وزوجته روزالين يجدان متعة عظيمة فيما ي Coleman به ، لأنهما - كما يقول - يؤيدان ما يؤمنان به وقد نذر بقية عمره لأجله ، فالتنصير أو ما يسمى تدليساً للتبيه هو الهدف الرئيس الذي أنشأ من أجله مركز كارتر في أتلانتا بولاية جورجيا . هذا المركز والذي لاقت أعماله نجاحاً ودعمًا كبيراً من جمعيات التنصير العالمية ، تكون ابتداءً من قسم واحد يعمل من أجل السلام في العالم!، يتفرع اليوم إلى أقسام عديدة؛ أهمها مركز كارتر للديمقراطية (CCD) ، وشبكة كارتر الدولية للتفاوض (CINN) .

هدية لمكتبة شبكة مشكاة الإسلامية

لقد استفاد المنصرون من تجاربهم والتي عانت من الفشل مرات كثيرة خاصة في بلاد المسلمين فتغيرت بعض أساليبهم وبشكل ملحوظ خلال العقد الماضي . فلم يعد التنصير اليوم حكراً على القسّس والرهبان بل أصبح المنصر مهندساً أو طبيباً أو قائداً لثوار ورئيساً سابقاً لدولة عظمى داعية للديمقراطية والسلام !؟ ويدعى كارتر أن شبكة التفاوض الدولية التابعة لمركزه تتبع أكثر من ٤٠٠ نزاعات في العالم ، صنفت اثنان وثلاثون منها على أنها حروب كبيرة بعد أن سقط فيها أكثر من ١٠٠٠ قتيل . تقع ثمانية من هذه الحروب الكبيرة في أفريقيا ؛ القارة الأقرب إلى قلب كارتر والتي سعى ويسعى فيها لدعم المسيحيين في القرن الأفريقي ، والذين يشكلون أقليات في كل دول المنطقة حتى في أثيوبيا خلافاً لما يعتقد كثيرون . ويعرف من يتبع مجريات الأحداث في شرق أفريقيا والمجتمعات التي عقدت خلال الأعوام الماضية في أتلانتا ونيروبي وأديس أبابا، أن تبني كارتر لجورج قرنق في جنوب السودان وجبهة أسياس أفورقي النصراني في أرتيريا إنما كان لينفصل الأول عن السودان وتندمج الثانية بشكل نهائي في أثيوبيا خطوة نحو إيجاد دولة أو كيان يضم كل المسيحيين في القرن الأفريقي ، تحقيقاً لحلم يراود النصارى منذ زمن بعيد ، حيث لم يفتوا يصررون على أن المنطقة كانت و يجب أن تظل مسيحية .

و ضمن جهود كارتر المتواصلة للتغلغل في المنطقة ، زار خلال شهر تشرين الثاني الماضي زامبيا للإشراف على سير الانتخابات الرئاسية الأخيرة فيها وذلك في إطار برنامج مركزه للديمقراطية المذكور سالفاً . هناك أطلق كارتر - وفي بعض الدول الأخرى التي زارها - مجموعة من النداءات أراد لها أن تكون مبادرة تستهدف إنهاء النزاعات في القارة وتساهم في حل مشاكلها الصحية والاقتصادية . و نستعرض فيما يلي طرفاً مما قام به في رحلته هذه إضافة إلى مراقبة الانتخابات في زامبيا :

* قضى عطلة نهاية الأسبوع السابقة لانتخابات في محادلات مع طرف في النزاع في ليبيريا ؛ الرئيس الانتقالي آموس سوير ، وقائد المتمردين تشارلس تايلر ؛ في لاغوس ، العاصمة النيجيرية ، حيث التقى بالرئيس إبراهيم بابنجيدا من أجل الجلسة القادمة في سلسلة لقاءات سوير وتايلور والتي تعقد في باموس سкро تحت إشراف الحكومة النيجيرية من أجل حل سلمي للنزاع الدامي الذي شغل ليبيريا لأكثر من ٢٢ شهراً . وبذا كارتر متاعطاً مع زعيم المتمردين في تصريحاته التي ذكر فيها أن تايلر أصبح أكثر استعداداً للسلام والديمقراطية (١) . كما تعهد كارتر بمساعدة سيقدمها مركزه لإقامة انتخابات خلال العام المقبل في حالة حصول اتفاق بين الطرفين وإنها تقسيم ليبيريا . وجدير بالذكر أن الجبهة الوطنية الليبيرية قد أثارت فتنة عظيمة في البلاد بقيادة تشارلس تايلر النصراني المتعصب ، راح ضحيتها آلاف المسلمين و تعرضت فيها ممتلكاتهم وأراضيهم للنهب والتزييف .

* بالإضافة إلى الإشراف على الانتخابات ، يقدم المركز خدمات أخرى . فقد أعلن ممثل المركز أنه قد تم تنظيم مجموعات محلية هدفها حماية الأطفال وتعليمهم ، وأعلن أن الجهود الأولى ستصرف في حملة تطعيم - ضد أمراض الحصبة والدفتيريا والتيفود والسعال الديكي .

* حرص كارتر على تنظيم لقاءات مع القيادات السياسية والفكرية لتلك الدول ، كان أهمها اللقاء الأكاديمي الذي تم في المعهد النيجيري للشؤون الدولية وذلك ضمن حلقة علمية عن "دور ومشاركة الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي في نشوء النزاعات الأفريقية" . وقد حرص كارتر في ذلك اللقاء على دعوة مجموعة من الأساتذة الأفارقة لزيارة مركزه في أتلانتا لإلقاء المحاضرات فيه عن العلاقات الدولية كما كان حريضاً على طرح بعض النقاط التي تمس الواقع المتختلف لأفريقيا جنوب الصحراء والتي يمكن تلخيصها بالتالي :

هدية لمكتبة شبكة مشكاة الإسلامية

١- إن أفريقيا لم تحصل على نصيب مكافئ من الثروة العالمية وأنها لا تزال تعاني من آثار النظم الاستعمارية التي اغتصبت شعوبها وثرواتها . وهذا بالتالي - كما يقول - أدى إلى وقوع أفريقيا في الديون التي ترذح تحتها اليوم .

٢- إن أمريكا لا بد أن تفعل كما فعلت أوروبا واليابان في إففاء أفريقيا من بعض الديون وتخفيف معدلات الربا عليها . كما أن عليها أن تشتري المنتجات الأفريقية - طبيعية وصناعية - بأسعار جيدة يكون من شأنها رفع مقدرة أفريقيا على دفع ديونها .

٣- إن سقوط الشيوعية وانتهاء الحرب الباردة يتihan لنا فرصة عظيمة للاهتمام بالعالم النامي وقال : "إن النظام العالمي الجديد ليس حقيقة قائمة . وقد يكون فرصة جيدة لكنها لم توجد بعد؟! وقال : إنه يتمنى أن يتجاوز النظام العالمي الجديد كونه مجرد تغيير في التركيز من أوروبا الشرقية إلى الشرق الأوسط وأن يستطيع الوصول إلى أفريقيا المحرومة من حقها الطبيعي تحت الشمس السياسية ! وأضاف أن الرؤساء والمسؤولين الأفارقة يقع عليهم عبء الانتاج بمستوى الاقتصاد للقاراء وعدم الاعتماد على المساعدات العالمية .

ولا نشك في أن كارتر قد استطاع لمس وجدان سامييه بمثل هذه التروّحات . لكننا لا نشك أيضاً أن هدفه من وراء ذلك إنما هو محاولة إقناع الأفارقة بأنه مهم وساع في حل مشاكل القارة على اختلافها ليحتل مكاناً في قلوبهم يمكنه من تنفيذ برنامجه في التغلغل في القارة دونما شكوك أو معارضة .

ولا يخفى على كل من عرف كارتر ومراكيزه أن التنصير هو غايتها الأولى ، وليراجع من شاء تصريحاته وكتبه ومشوراته مركزه .

وحق لنا أن نتساءل ، وقد تباكي كارتر على حرمان أفريقيا من حقها ووقوعها ضحية الاستغلال الغربي : لماذا لم يقدم لها كارتر شيئاً يذكر عندما كان رئيساً لأمريكا وكان بإمكانه أن يفعل الكثير ؟ ففي فترة حكمه لم يزد مجموع المساعدات للقاراء - جنوب الصحراء - على ٢٥٠ مليوناً من الدولارات كانت تضيع في أحوالها - وكارتر يعلم ذلك - بين قلة من الذين يسيطرون على مقاليد الأمور هناك .

لا أحسب أن تاريخ العالم يحفظ أسوأ من صورة مدينة الغرب في معاملة الآخرين وإنكار مصالحهم وتجاهل حقوقهم . وهذه السخائم الوبيالة ليست في طبيعة الغرب سجية محدثة، بل كانت المدنية الغربية ولا تزال تفرض إثماها على أنه شرف ورفة وتنشر نزواتها وأهواءها على أنها قوانين عادلة .

وفي بداية الحملات الاستعمارية الحديثة على القارة الأفريقية ، شكلت بعثات التنصير الكنسية طلائع هذا الغزو ، وكانت أداة فعالة في ترسیخ الاستغلال الذي تحدث عنه - مستتراً - كارتر! . لكن اليوم وقد اختلفت العوامل التي تربط الغرب بمصالحه في أفريقيا فقد تغيرت وسائله وانقلب أولوياته ، وأصبح الاستعمار الجديد والاستغلال الاقتصادي أدوات طيعة موجهة لخدمة أهداف الكنيسة . هذا ما كتبه النصارى أنفسهم وناقشوه في مؤتمر من أهم مؤتمراتهم في هذا القرن اجتمعت له أعداد كبيرة من الهيئات والمنظمات المسيحية التي تستهدف المسلمين في ولاية كولورادو في ١٥/١٠/١٩٧٨م واشتهر بعدها بمؤتمر المنصرين . ثم جمعت مادة هذا المؤتمر في كتاب حرره القس دونالد ماكوري تحت عنوان "الإنجيل والإسلام" ..

ليس أقصد من وراء هذا السرد إثارة الحسرة والأسى ولا التباكي على واقعنا الذي اعتراف ضعف وعجز في نواح كثيرة لكنها ذكرى لعل الدعاة إلى الله يستفيدون من مثل هذه التجارب

والأساليب . فمثل هذه الأساليب قدمت خدمات تنصيرية فاقت إلى حد بعيد كل جهود القسّس والرهبان والدعوة التقليدية .

إن المسلمين اليوم وإن كانوا في أعقاب فترة كلية ، ولا زالوا ينفّضون غبار الذل الذي أصابهم بعد أن طُوي لواءهم ، إلا أنهم يتّهّيأون - كما يرى كل ذي عينين - لانتفاضة مرمرة بِإِذْنِ الله ، وهم يستعدون لحمل رسالة الحق من جديد . ولا بد لهم في ذلك من وسائل ناجعة وصالحة ، فإن دعائم الدعوة الموقفة الناجحة تلقى كلها في الأخذ بكتاب الله سبحانه - وَسَنَة نبِيِّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - . نعم إن مستقبلنا في هذه الدنيا ثم مصيرنا يوم المعاد ، كلاماً لا يضمّنه إلا هذا المنهج الوثيق .

الهوامش:

- ١- مجلة "ويست أفريكا" الصادرة في لندن . بتاريخ ١٤ ديسمبر ١٩٩١ م . وقد اعتمدت على ما كتبه مراسليم من نيجيريا فيما نقلته من أقوال كارتر .

خواطر في الدعوة في الهدم والبناء

محمد العبدة

إن المتتبع لكل الجهود التي بذلها المسلمون خلال القرن الماضي فيما سمي بـ(النهاية) سيلاحظ شيئاً عجيباً ، فهذه الجهود لم تكن تراكمية يستقيدها اللاحق من السابق ، وينظر في أمرها فيأخذ ما صح منها وبيني عليه ، ثم يأتي من بعده ويتم البناء ، ولكنها في الغالب كانت تبدأ من الصفر فتخطىء وتصيب وتجرب مرات ومرات ، وفي العادة تكون البدايات شاقة وتحتاج إلى طاقات كثيرة

وبسبب هذه الطريقة في التفكير والعمل - والله أعلم - أننا لم نتعود بعد على العمل المؤسسي الذي يقوم بالدراسات الدقيقة لكل عمل سبق وتقويمه تقويمًا منصفاً حياديًّا ، ودراسة كل فكر تقدم ، وكل تجربة لداعية أو عالم أو هيئة ، وما هي الانجازات التي تحققت أو الفشل الذي وقع . كما أننا لم نتعود على الإنصاف في تقدير جهود الآخرين ، خاصة إذا كان يخالفنا ولو في شيء يسير ، وثالث الأسباب أننا نحمل في داخلنا موروثات مذمومة من الحسد والشنان فلا نذكر محمد أحد ، بل إننا أقرب إلى حب التحطيم كما يفعل الأطفال بألعابهم .

كتب خير الدين التونسي قبل أكثر من قرن محذراً من الطوفان القادم (الغرب) إن لم يتدارك الأمر بالمؤسسات والبعد عن الاستبداد في الأمة وما يجر من ويلات ، وعلى الرغم مما عندنا من ملاحظات على التونسي والكواكبى ، وما في فكرهما من ثغرات وتشوش ، فإن ما طرحا في هذا الموضوع كان صحيحاً .

ولا يزال بين المسلمين من يقول بعدم إلزامية الشورى . ثم جاء الشيخ رشيد رضا وكتب في (المنار) مقالات قوية عن شؤون العمران والسنن الربانية في قوة الأمم ورقبيها وأسباب ضعفها . واقتصر تأسيس الجمعيات والمدارس التي تساهم في هذا الرقي وأظن أننا لم نستفد كثيراً مما كتب ، وهذا تكررت هذه الظاهرة ، فقد قام الشيخ ابن باديس بتجربة قوية ناجحة في جمع علماء الجزائر في جمعية واحدة ، وكان أثرها قوياً واضحاً في نهضة الجزائر ، والآن نرى أكثر العلماء والداعية متفرقين مع الأسف ، وكتب مالك بن نبي عن المشكلة الحضارية وأن البدء يكون بتغيير ما

بالأنفس ، وكتب عن مشكلة الأشخاص والشبيهة القادمة من عصور الانحطاط ، ولكن المشكلة لا تزال قائمة وجاء سيد قطب فصوّلاً جيدة عن القاعدة الصلبة وكيف تكون . ولن يست المشكلة فقط أننا لا نستفيد من صواب كل واحد منهم بل إن بعضنا ينقض ما عندهم من إيجابيات ويقلل من شأنها ، ويستهين بها . وهم في ذلك ((كَالَّتِي نَقْضَتْ غَرْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّهٍ أَنْكَاثًا)) [النحل ٩٢] .

ولا ندرى إلى متى نستمر في البناء والهدم والحزبية وقلة الإنفاق ، والنزعة الأنانية الضيقة . والله وحده المستعان على هذه الحال ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

قراءة في مجلة المنار

عبد القادر حامد

كان الهم الشاغل لرشيد رضا حين أخرج مجلته هو الفجوة العلمية الضخمة بين الغرب من جهة وبين العالم الإسلامي من جهة أخرى، لهذا فإنه حض أولاً على نبذ الكسل والتهاون والضعف والاتكالية ، واعتبر التربية والتعليم الوسيلة المثلثة التي يمكن أن تردم هذه الفجوة أو تقلل منها على الأقل .

وهو مدرك صعوبة ما هو مقبل عليه، ويضع في حسابه أن يصطدم مشروعه الإصلاحي برغبات كثيرة من أصحاب النفوذ ، ولهذا فهو يحاول أن يقتصر على الممكن ، ويتجنب التورط في ما يثير هؤلاء عليه ، ويحدد في عبارات تطمينية أهدافه حتى لا تذهب الظنون في تفسير خطته كل مذهب، فيقول: " وغرضها الأول (أي المنار) الحث على تربية البنات والبنين، لا الحث في الأمهار والسلطانين، والترغيب في تحصيل العلوم والفنون، لا الاعتراض على القضاة والقانون، وإصلاح كتب العلم وطريقة التعليم، والتنشيط على ممارسة الأمم المتقدمة في الأعمال النافعة ، وطرق أبواب الكسب والاقتصاد ، وشرح الدخائل التي مازجت عقائد الأمة ، والأخلاق الرديئة التي أفسدت الكثير من عوائدها ، وال تعاليم الخادعة التي لبست الغي بالرشاد ، والتآويلات الباطلة التي شبهت الحق بالباطل ، حتى صار الجبر توحيداً، وإنكار الأسباب إيماناً، وترك الأعمال المفيدة توكلأً، ومعرفة الحقائق كفراً وإلحاداً، وإيذاء المخالف في المذهب ديناً ، والجهل بالفنون والتسليم بالخرافات صلاحاً، واحتلال العقل وسفاهة الرأي ولایة وعرفاناً، والذلة والمهانة تواعضاً، والخنوع للذل والاستبسال للضيم رضى وتسليماً ، والتقليد الأعمى لكل متقدم علمًا وإيماناً "(١) .

لكن على الرغم من هذه الاحتراضات الكثيرة التي أراد رشيد رضا أن تكون سورةً يدفع عن أفكاره المخاطر ؛ فإنه اصطدم بما كان متوقعاً ، وسيبدو لنا في المستقبل أمثلة من هذه الواقع . وقد يكون ظن في أول الأمر أنه سيترك و شأنه - وقد اختار الطريق الذي يبدو الأبعد ، وهو طريق التربية والتعليم - ولعله رأى أن اختياره هذا الطريق سوف يقيه عواقب الاصطدام بالرغبات القربيّة التي ترى في كل دعوة تجديدية تهديداً لمصالحها ونذير شؤم عليها ، ولأن هذا الطريق هو الذي يبقى أثراه بعده ضاربة جذوره في الأرض ، لا يستطيع أحد أن يقضي عليه قضاء كاماً . وهذا صحيح ، فأي دعوة تهمل هذا الجانب مهددة بالانقراض بل والارتداد عليها . وأمامنا مثالان لذلك : الفتح الإسلامي الأول بعد عصر الرسول صلى الله عليه وسلم . والفتحات التي قام بها العثمانيون في أوروبا وغيرها .

هدية لمكتبة شبكة مشكاة الإسلامية

ففي الفتح الإسلامي الأول كان تجيش الجيوش وتوجيهها في حركة الفتح ليس هدفاً بنفسه ، بل وسيلة إلى غاية أسمى وهي نشر الإسلام والدعوة إليه عن طريق تشجيع العلم والعلماء ، وبين أن الإسلام جاء إنقاذاً للبشرية من الظلم الاجتماعي وجور السلطات المهيمنة ، فدخل الناس في دين الله أفواجاً ، ونشر الصحابة وتلاميذهم العلم بين طبقات هذه الشعوب ، وتحولت أعداد هائلة من أبناء هذه الشعوب الداخلة في الإسلام إلى دعاة ومدافعين عن الدعوة الجديدة وقرآنها ولغتها ، وبرزت أسماء يصعب حصرها ممن تلقوا هذا العلم الأصيل ، وحملوه في الأفاق ، ونفعوا به شعوبهم وغير شعوبهم ، وكانوا يتحركون من مكان إلى مكان لا يقف في وجههم عائق ، ولا تحجزهم حواجز ، بل إن من تقاليدهم التي رسخت أنهم كانوا يجعلون الرحلة في طلب العلم وسيلة للتقويم والمكانة ، فبقدر عدد البلاد التي يطوف فيها الشخص تكون قيمته العلمية ، وبقدر اختلاطه بعلماء الأمصار تزداد الثقة به وال الحاجة إليه . وهذا حق .

أما الفتوحات التي قام بها العثمانيون ، فقد اكتفوا بالإخضاع ، وجباية الجزية ، وتركوا أهل البلاد يديرون شؤونهم بأنفسهم ، وكانت الهوة سقيقة بين السلاطين وبين رعاياهم ، ولم يلتقطت إلى أهمية أن تُعد لهم جيوش من الدعاة والعلماء يكملون ما قامت به الجيوش ، وتركت هذه الشعوب على ما هي عليه من أفكار وأحوال ، واقتصر أمر الدعوة ونشر العلم على المبادرات الفردية ، وما كان أضعفها في تلك الفترة ، وأقل كفايتها وغناءها ! حيث تأذنت حكمة الله أن لا ينبغ من بين سلاطين آل عثمان رجل يتبنى اللغة العربية لغة رسمية للسلطنة على كافة المستويات ، فتركت هذه الميزة للغة التركية - وهي من أشد اللغات فقراً وأظهرها ضعفاً - حتى إذا ضفت قبضة الدولة على هذه المقاطعات المفتوحة ، برزت الكراهية العرقية والدينية التي لم يهذبها علم ولم يقاومها فكر ، تغذيها وتمدّها دول أوروبا الطامعة المتربيصة . ولم ينفع العثمانيين آنذاك تسامحهم ولا إيقاؤهم على عقيدة البلد المفتوحة ، والسامح لأولئك بإدارة شؤونهم الدينية دون تدخل أو معارضة ؛ بل انقلب هذا التسامح وهذه السياسة التي اتبعت أدلة بيد هذه الشعوب للتخلص من الحكم العثماني ؛ بل لتفويض بناء هذه الدولة ، ولم يبق في ذاكرة هذه الشعوب إلا صورة الكرباج التركي وظل التركي القاسي الغليظ الذي عمموه - في فترة من الفترات على الأقل - على كل معتقد للإسلام (٢) .

إصلاح العقائد والعادات :

إذا كان رشيد رضا قد اعتقد أنه بإعلانه تحاشي أولي السلطة وعدم استثارتهم قد ضمن سكوتهم عنه ؛ فإنه لم يكن متحرزاً من فتح حلبة صراع لا تقل عن الأولى التي يحاول بحكمته تجنبها ، وهي حلبة إصلاح عقيدة الأمة والعادات التي تراكمت عبر القرون واحتلّت صريحها بفاسدها ، وهذا ما يشير إليه قوله :

"الدخائل التي مازجت عقائد الأمة ، والأخلاق الرديئة التي أفسدت الكثير من عوائدها" . فمن هي الجهة التي ستقف في وجه التجديد ؟ إنها بلا شك خليط من صنفين من الناس :
أ- صنف ذكي يستثمر الجهل والغفلة ، ويحب أن يبقى كل أمر على ما هو عليه ، لأنه يشك في كل حركة وكل دعوة ، ويرى في ذلك تهديداً لمصلحته الأنانية ، فيحارب كل ما يشك فيه ، ويستنفر العامة بنفاقه وكذبه ويدخل في عداد هذا الصنف الخبيث القصد أصحاب النظر القصير - ومن لا يقدرون على النظر إلا في مواطن أقدامهم ، ويستغلّهم ذلك الصنف الذكي بوسائله الجهنمية الترهيب والتزييف ، وقد يكون من هؤلاء أسماء طنانة وأصحاب ألقاب سيارة .

ب - والصنف الثاني : العامة والدهماء ، ومن يصدق بسرعة ودون روية وتفكير دعاوى الصنف الأول المتنوعة ، وتهاويلهم البرّاقة ، فيكونون رداءً لهم وعوناً على تعطيل كل نية تهدف إلى

تخليصهم من براثن الطغاة والمشعوذين . وهكذا يستمرون ضحية الجهل وعدم القدرة على التفكير من جهة ؛ والاستغلال والتلاعب من جهة أخرى .

لقد ورث المسلمون - زيادة على ضعفهم السياسي والاقتصادي - ضعفاً اجتماعياً مخيفاً ، لا يجاوز الحقيقة من ادعى أنه أدهى وأمر من الضعفين الأولين ، بل هو السبب الرئيسي والمباشر لذيناك الضعفين اللذين هما عرض ظاهر لذلك الجوهر الذي لا يبيو إلا للقليل من الناس ، وإن بدا ؛ فلا يقدر على تحليل عناصره وإرجاعها إلى مفرداتها البسيطة إلا القلة من هذا القليل .

وأشد مظاهر هذا الضعف الاجتماعي خطراً ما ارتبط منه بالعائد ، والتصق "بالوجودان الجمعي" للأمة ، حيث تصبح معالجة هذا الضعف تصدياً لا إلى حالة فردية ؛ بل إلى قوة اجتماعية انصرفت فيها ألوان من القوى والمقاومات .

وبسبب ما توالى على المسلمين من أحداث ضخام ، وما تعاورهم من ظروف تحمل إليهم كل يوم جديداً من التسلط والطغيان ، وتسقط فوق رؤوسهم كل ساعة ما لا يتوقعون من حيل شيطانية يمهد بتزيينها المتغلبون وأعوانهم ؛... كل ذلك وغيره أثر في حيويتهم ، وترك في تقويمهم للأمور خرماً يصعب رثْقه ، حيث سحبوا على هذه الإرادات الطاغوتية ظلاً من إرادة الله ، والتبتست عليهم أقدار الخالق بأقدار المخلوق ، وصار بهم الأمر إلى حالة سكونية ترضى بالقليل ، وتستتيم إلى اللحظة الحاضرة وأصبح لسان حالهم يقول :

وَمَا فِي سَطْوَةِ الْأَرْبَابِ عَيْبٌ وَلَا فِي ذَلَّةِ الْعُبَادَانِ عَارٍ !

لقد رأى رشيد رضا أن العائد عندما تقسد يفسد المجتمع ، وعندما تتحول العادات المرذولة إلى ما يشبه العقائد فإنها تهدم الكيان الشري للفرد ، كما تهدم المجتمع . وهنا يظهر لنا أن رشيد رضا لا يبتعد عن الحديث عن السلطة إلا يجد نفسه وجهاً لوجه معها ، وهو - واعياً أو مضطراً - "يرد الصدر على العجز" ويفر من جبروت السلطة والتعرض لها لعله يضمن حيادها وسكتتها عن مشروعه الإصلاحي ؛ ليؤلب عليه طبقات اجتماعية لا تتورع عن الاستظهار بالسلطة للقضاء على خصومها وإسكاتهم وتعطيل ما يرمون إليه، فتجمعت عليه قوتان، ويواجهه ما فر منه وما فر إليه! وهذه هي مأساة المصلحين في كل عصر ، وهذا هو التحدي الذي ينتظرهم.

إن بقاء شعب أو شعوب تحت نير الاستبداد الدائم يقلل فيه من عناصر الخير والفضيلة ، ويعدم الثقة المتبادلة بين أفراده ، ويجعله بعد القوة ليعرض عن ضعفه المتصل بالنفاق والتملق للأقوياء ، ويصبح اتكالياً يطلب من الحكومة أن تعمل له كل شيء ، مع أنه لا يحبها ولا يثق بها ، ويت Herb من رقابتها ما استطاع ، وباختصار: إن الاستبداد نوع من السرطان فريد ، قد لا يميت الإنسان ، بل يعيشه حياً يتنفس ، ولكن بإنسانية مفقودة ، وشخصية مشوهة ، وأخلاق مرذولة .

الهوامش :

١- فاتحة العدد الأول

٢- هذا الكلام هو تقرير لحقيقة ، ولا نغفل عن الدور الإيجابي الذي قام به العثمانيون ، ودوافعنا على كل حال تختلف عن دوافع القوميين العثمانيين .

تمهيد :

سبب اختيارنا لهذه الوصية أنها أثر ثمين في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ومثال للأدب العالي الذي يتجاهله دارسو الأدب العربي في هذه الأيام ، ونموذج فريد من "أدب الرسائل" بين العلماء يصلنا من وقت مبكر ، من أوائل القرن الثاني الهجري ، وكذلك فإن القوة في الألفاظ والمعاني مع السهولة والصدق الذي يميز هذه الوصية يجعلها بحق "أثراً ثميناً" يسرنا تقديمها لقراءنا الكرام .

ولا يخطئن على البال أننا نريد أن نحطب بحل الدين يتحاملون على الأئمة بمجرد عثورهم على مثل هذا النص ، فهذا من نقد الأقران الذي لا يسقط العدالة . ولا يحظر من قدر العالم أن ينتقد ، كما لا يعتبر مجرد قرب العالم من السلطان جرحاً فيه، بل إن ابتعاد أو إبعاد طبقة العلماء عن الحكم فيه ضرر كبير وشر مستطير يلحق بالمجتمع، ويخلّي الساحة للجهلة والمفسدين أن يتصرّفوا بشؤون الناس كيّفما يشاءون ، ومن راجع كتب الفقه في باب القضاء وحكم توليه وجده تقضيًّا شافياً يتعلق بهذه المسألة^(١) ، وإن مما تدل عليه هذه الرسالة الحرية الفكرية بين علماء السلف ، فهذه الحرية هي التي تجعل واحداً مثل أبي حازم - وهو أصغر من الزهري ومن تلاميذه - ينصحه بهذه النصيحة القوية ، ويبين له وجهة نظره بجلاء لا غموض فيه ، وبعيداً عن المجاملات التي لا تنفع الأخوة الصادقة ، وتكون الدعوة بعد ذلك من ضحاياها .

لا نريد الإكثار من الكلام حول هذا النص ، بل إن هذا القليل اضطررنا إليه اضطراراً، وكم وددنا لو أخلينا بين القارئ وبين هذه الرسالة دون توسط .

أبو حازم:

سلمة بن دينار ، الأعرج ، مولى لقوم من بني ليث بن بكر ، روى عن ابن عمر ، وسهل بن سعد ، وأنس بن مالك ، وقيل إنه رأى أبا هريرة ، وسمع من كبار التابعين كسعيد بن المسيب ، وأبي سلمة ، وعروة بن الزبير وغيرهم . وهو ثقة عند عامة المحدثين . توفي سنة ١٤٤ في خلافة المنصور .

الزهري:

أبو بكر ، محمد بن سلم بن عبد الله بن شهاب الزهري ، تابعي سمع من أنس وسهل بن سعد والسائب بن يزيد وغيرهم من الصحابة . ورأى ابن عمر وسمع من كبار التابعين وأئمتهم ، قال فيه عمرو بن دينار : "ما رأيت أنصَّ للحديث من الزهري ، وما رأيت أحداً الدينار والدرهم أهون عنده منه" . وقال فيه الليث بن سعد : "ما رأيت عالماً قط أجمع من ابن شهاب ، ولا أكثر علماً منه" . وقال أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه : "أصح الأسانيد مطلقاً: الزهري عن سالم عن أبيه" . وقال الشافعي : "لولا الزهري لذهبت السنن من المدينة" . قال النووي : "ومناقبه والثناء عليه أكثر من أن تحصر" .

وتوفي في شهر رمضان سنة ١٢٤ هـ وهو ابن اثنين وسبعين سنة .

النص

عافانا الله وإياك - أبو بكر - من الفتن ، ورحمك من النار ، فقد أصبحت بحال ينبغي لمن عرفك بها أن يرحمك منها، أصبحت شيئاً كبيراً قد أثقلتاك نعم الله عليك ، بما أصبح من بدنك ، وأطال من عمرك ، وعلمت حُجج الله تعالى مما حملك من كتابه ، وفَقِهَك فيه من دينه ، وفهمك من سنة نبيه - صلى الله عليه وسلم - فرمي بك في كل نعمة أنعمها عليك ، وكل حجة يحتاج بها عليك . وقد قال تعالى : ((لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَرِيَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ)).

هدية لمكتبة شبكة مشكاة الإسلامية

انظر.. أي رجل تكون إذا وقفت بين يدي الله عز وجل ، فسألوك عن نعمة الله عليك ؟ كيف رعيتها ، وعن حججه عليك : كيف قضيتها ، ولا تحسن الله راضياً منك بالتعذير ، ولا قابلاً منك التقصير ، هيئات ليس كذلك !

أخذ على العلماء في كتابه إذ قال : ((لَتُبَيِّنَنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكُنْمُونَهُ فَنَبْذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ)).

إنك تقول إنك جدل ، ماهر ، عالم ، قد جادلت الناس فجادلتهم (٢) ، وخاصمتهم فخصمتهم (٣) ، إدلاً منك بفهمك ، واقتداراً منك برأيك ؛ فأين تذهب عن قول الله عز وجل : ((هَا أَنْتُ هُوَ لَاءُ جَادِلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ))؟!

اعلم أن أدنى ما ارتكبت ، وأعظم ما احتقنت (٤) ، أن آنست الظالم ، وسهلت له طريق الغي بدنوك حين أدنیت ، وإجابتك حين دعیت ، فما أخلفك أن ينوه باسمك غداً مع الجرمة(٥) ، وأن تسأل عما أردت بإغضائك عن ظلم الظلمة . إنك أخذت ما ليس لمن أعطيك ، ودنوت من لا يرد على أحد حقاً ، ولا ترك باطلأ حين أدناك ، وأجبت من أراد التدليس بدعائه إياك حين دعاك .

جعلوك قطباً تدور رحى باطلهم عليك ، وجسراً يعبرون بك إلى بلائهم ، وسلمأً إلى ضلالتهم ، وداعياً إلى غيهم ، سالكاً سبيلهم ، يدخلون بك الشك على العلماء ، ويقتادون بك قلوب الجهل إليهم ، فلم يبلغ أخص وزرائهم ؛ ولا أقوى أعواهم لهم إلا دون ما بلغت من إصلاح فسادهم . واختلاف الخاصة والعامة إليهم ، فما أيسر ما عمروا لك في جنب ما خربوا عليك ! وما أقل ما أعطوك بكثير ما أخذوا منك ! فانظر لنفسك ؛ فإنه لا ينظر لها غيرك ، وحاسبها حساب رجل مسؤول .

وانظر كيف شكرك لمن غذاك بنعمه صغيراً وكبيراً ، وانظر كيف إعظامك . أمر من جعلك بدينه في الناس مجلاً ، وكيف صيانتك لكسوة من جعلك بكسوته مستتراً ، وكيف قربك وبعدك من من أمرك أن تكون منه قريباً.

ما لك لا تتتبأه من نعستك ، وتستقيل من عثرتك ، فتقول : والله ما قمت الله عز وجل مقاماً واحداً أحى له فيه ديناً ، ولا أميته له فيه باطلأ(٦)! أين شكرك لمن استحملك كتابه ، واستودعك علمه؟! ما يؤمنك أن تكون من الذين قال الله تعالى فيهم : ((فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَذْنَى...))؟!

إنك لست في دار مقام ، قد أوذنت بالرحيل ، ما بقاء المرء بعد أقرانه ؟ طوبى لمن كان مع الدنيا على وجل ، ويا بؤس من يموت وتبقي ذنبه من بعده ! إنك لم تؤمر بالنظر لوارثك على نفسك ، وليس أحد أهلاً أن ترده على ظهرك . ذهبت اللذة وبقيت التبعة ، ما أشقي من سعد بكسبه غيره ، احذر فقد أتيت ، وتخلس فقد أدهيت !! إنك تعامل من لا يجهل ، والذي يحفظ عليك لا يغفل .

تجهز ؛ فقد دنا منك سفر بعيد ، وداو دينك فقد دخله سقم شديد ، ولا تحسن أنني أردت توبيخك وتعييرك وتعنيفك ، ولكنني أردت أن تتعش(٧) ما فات من رأيك ، وترد عليك ما عزب عنك من حلمك ، وذكرت قوله تعالى: ((وَذَكَرْ فَإِنَّ الذَّكْرَى تَنَفَّعُ الْمُؤْمِنِينَ)).

أغفلت ذكر من مضى من أسلافك وأقرانك ، وبقيت بعدهم كقرن أعضب (٨) ، فانظر هل ابتلوا بمثل ما ابتليت به ، أو دخلوا في مثل ما دخلت فيه؟! وهل تراه ادخر لك خيراً منعوه ، أو علمك علماً جهلوه ، بل جهلت ما ابتليت به من حالك في صدور العامة، وكلفهم بك أن صاروا يقتدون برأيك ويعملون بأمرك ، إن أحالت أحلوها . وإن حرمك حرموا . وليس ذلك عندك ، ولكن إكبابهم عليك ، ورغبتهم فيما في يديك ، ذهاب عملهم ، وغلبة الجهل عليك وعليهم ، وطلب حب الرياسة ، وطلب الدنيا منك ومنهم .

أما ترى ما أنت فيه من الجهل والغرة، وما الناس فيه من البلاء والفتنة؟! وابنلتهم بالشغل عن مكاسبهم ، وفتنتهم بما رأوا من أثر العلم عليك ، وتأفت أنفسهم إلى أن يدركوا بالعلم ما أدرك ، ويبلغوا منه مثل الذي بلغت ، فوقعوا بك في بحر لا يدرك قعره ، وفي بلاء لا يقدر قدره ، فالله لنا ولـك ولهم المستعان .

واعلم أن الجاه جahan: جاء يجريه الله تعالى على يدي أوليائه لأوليائه، الخامل ذكرهم، الخافية شخوصهم ، ولقد جاء نعمتهم على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ اللَّهَ يُحِبُ الْأَخْفَيَاءِ الْأَتْقَيَاءِ الْأَبْرَيَاءِ الَّذِينَ إِذَا غَابُوا لَمْ يَنْقُضُوا، وَإِذَا شَهَدُوا لَمْ يَعْرُفُوا، قُلُوبُهُمْ مَصَابِحُ الْهُدَىٰ، يَخْرُجُونَ مِنْ كُلِّ فَتْنَةٍ سُودَاءَ مَظْلَمَةً" (٩) .

فهو لـاء أولياء الله الذين قال تعالى فيهم : ((أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)). وجاه يجريه الله تعالى على يدي أعدائه لأوليائه ، ومقـة (١٠) يقذفها الله في قلوبهم لهم ، فيعظمـهم الناس بتعظـيمـهم أوشكـ لهمـ ، ويرغـبـ الناسـ فيماـ فيـ أيـديـهمـ لرغـبةـ أولـئـكـ فيـهمـ: ((أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ)) .

وما أخوـفيـ أن تكونـ منـ يـنـظـرـ لـمـنـ عـاشـ مـسـتـورـاـ عـلـيـهـ فـيـ دـيـنـهـ، مـقـتـورـاـ عـلـيـهـ فـيـ رـزـقـهـ، مـعـزـولـهـ عـنـهـ الـبـلـاـيـاـ ، مـصـرـوـفـةـ عـنـهـ الـفـتـنـ فـيـ عـنـفـوـانـ شـبـابـهـ وـظـهـورـ جـلـدـهـ ، وـكـمـالـ شـهـوـتـهـ . فـعـنـيـ بـذـلـكـ دـهـرـهـ، حـتـىـ إـذـاـ كـبـرـ سـنـهـ، وـرـقـ عـظـمـهـ، وـضـعـفـتـ قـوـتـهـ، وـانـقـطـعـتـ شـهـوـتـهـ وـلـذـتـهـ؛ فـتـحـتـ عـلـيـهـ الدـنـيـاـ شـرـ فـتوـحـ؛ فـلـزـمـتـهـ تـبـعـتـهـ وـعـلـقـتـهـ فـتـنـتـهـ، وـأـعـشـتـ عـيـنـيهـ زـهـرـتـهـ، وـصـفـتـ لـغـيرـهـ مـنـفـعـتـهـ .

فسبـحانـ اللهـ ماـ أـبـيـنـ هـذـاـ الغـبـنـ ، وـأـخـسـرـ هـذـاـ الـأـمـرـ ، فـهـلـاـ إـذـاـ عـرـضـتـ لـكـ فـتـنـتـهـ ذـكـرـتـ أمـيرـ المؤـمنـينـ عمرـ رـضـيـ اللهـ تـعـالـيـ عـنـهـ فـيـ كـتـابـهـ إـلـىـ سـعـدـ... حـيـنـ خـافـ عـلـيـهـ مـثـلـ الـذـيـ وـقـعـتـ فـيـ هـذـاـ فـتـنـةـ فـيـ الدـنـيـاـ عـلـىـ سـعـدـ :

"أـمـاـ بـعـدـ، فـأـعـرـضـ عـنـ زـهـرـةـ ماـ أـنـتـ فـيـ هـذـاـ فـتـنـةـ حـتـىـ تـلـقـيـ المـاضـيـنـ الـذـيـنـ دـفـنـوـاـ فـيـ أـسـمـاـلـهـمـ، لـاصـقـةـ بـطـوـنـهـمـ بـظـهـورـهـمـ، لـيـسـ بـيـنـهـمـ وـبـيـنـ اللهـ حـجـابـ، لـمـ تـفـتـهـمـ الدـنـيـاـ وـلـمـ يـفـتـهـمـ بـهـ، رـغـبـوـاـ فـطـلـبـوـاـ، فـمـاـ لـبـثـوـاـ لـحـقـواـ" .

فـإـذـاـ كـانـتـ الدـنـيـاـ تـبـلـغـ مـنـ مـثـلـ هـذـاـ فـيـ كـبـرـ سـنـكـ ، وـرـسـوـخـ عـلـمـكـ ، وـحـضـورـ أـجـلـكـ ؛ فـمـنـ يـلـومـ الـحـدـثـ فـيـ سـنـهـ ، الـجـاهـلـ فـيـ عـلـمـهـ ، الـمـأـفـونـ فـيـ رـأـيـهـ ، الـمـدـخـولـ فـيـ عـقـلـهـ؟ "إـنـاـ اللـهـ وـإـنـاـ إـلـيـهـ رـاجـعـونـ" ! عـلـىـ مـعـولـ ، وـعـنـدـ مـنـ الـمـسـتـعـنـ؟!

نـحـتـسـبـ عـنـدـ اللهـ مـصـيـبـتـناـ ، وـمـاـ نـرـىـ مـنـكـ . وـنـحـمـدـ اللهـ الـذـيـ عـافـانـاـ مـاـ اـبـلـاكـ بـهـ .
وـالـسـلـامـ عـلـيـكـ وـرـحـمـةـ اللهـ وـبـرـكـاتـهـ.

الهوامش :

١- لمزيد معرفة بشخصية الإمام الزهري ومكانته يراجع ما كتبه لشيخ مصطفى السباعي -رحمه الله- في كتابه القيم : السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي ص ٢٠٦-٢٢٦

٢- غلبتـهمـ فـيـ المـجـادـلـةـ

٣- غلبتـهمـ فـيـ المـخـاصـمـةـ

٤- حملـتـ فـيـ حـقـيـبـتـكـ

٥- الجـرـمـةـ : جـارـمـ مـثـلـ : كـاتـبـ وـكـتـبـةـ ، أـيـ المـذـنـبـونـ .

٦- هذهـ مـبـالـغـةـ مـنـ أـبـيـ حـازـمـ اـقـتـضـتـهـ الشـدـةـ فـيـ الـمـوـعـظـةـ ، وـإـلـاـ فـإـنـ حـيـةـ الـزـهـرـيـ كـانـتـ فـيـ سـبـيلـ إـحـيـاءـ الـدـيـنـ وـإـمـانـةـ الـبـاطـلـ ، كـمـاـ تـنـبـئـ بـذـلـكـ أـقـوـالـ عـلـمـاءـ الـجـرـحـ وـالـتـعـدـيلـ .

٧- تـنـدارـكـ

٨- القرنـ الأـعـضـ : القرـنـ فـيـ رـأـسـ الدـاـبـةـ انـكـسـرـ أـخـوـهـ وـبـقـيـ منـفـرـاـ .

٩- جزء من حديث في الترغيب والترهيب ١٥٤/٤ باب : الترغيب في الفقر وقلة ذات اليد . قال المنذري رواه ابن ماجه والحاكم واللفظ له ، وقال : صحيح ولا علة له .
ولم نجده في صحيح سنن ابن ماجه لللباني .

وفي صحيح مسلم ط عبد الباقي ص ٢٢٧٧ عن سعد ابن أبي وقاص أنه قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم- يقول : "ان الله يحب العبد النقي ، الغني ، الخفي" . - التحرير -

١٠- مقدمة : محبة

شعر

أننسى؟ أننسى..؟

شعر: محمود مفلح

فإنَّ جراحنا أبداً تفور
فإن همومنا الصغرى سعير
ويُرِشدنا لغايتنا ضرير !?
وقد نطقْتُ بحاجتها الحمير !!
وإن رغبوا الثباتَ فلا ندور
ومنا من يضايقهُ الحرير !!
وتُعرق بعضَ سادتنا الخمور ؟
وأنَّ العاديَاتِ لنا ثُور
لها في كل جارحةٍ حضور
وليلٍ تستغيثُ وتستجير ؟
وأعشاشاً تحن لها الطيور
ومحراباً وهل تُنسى الجنور ؟
ستحكي كلَّ قصتنا القبور
وفي أرض الصدام لهم زئير
ومن بُركانه هذا الزفير
إذا وقعت على الموتِ الصدور
ونحن القاعدون متى نثور ؟!
ونحن المتخمين متى نثور ؟!
ويمضي للعيير بك العبير
وقالوا: إنه العار الكبير
حقير ساقه الزمانُ الحقير
فلا زحفٌ هناك ولا عبرور
غداة غدٍ إذا انتفضت قبور ؟!
لنا شاءَ همام أو وزير
الآن كفوا فقد فُطم الصغير
وحاشا أن يكون له نظير

إذا كانت جراح الناس تغفو
وإن كانت همومهم رماداً
أي حكم في قضيتنا عدو
ونبقى في الحياة بلا لسان
ندور كما يقول القوم دوروا
ومنا من يرى في الخيش خزاً
ويبحث بعضاً عن كأس ماءٍ
كأن النائبات لنا فراشٌ
وما زالت تُؤرقنا سفوح
أننسى في دروب القدس ليلى
أننسى أعين الليمون ترنو
أننسى مسجداً ونداء فجر
لئن متنا فإنَّ لنا قبوراً
رجالاً أصبح الأطفال فينا
كأنهم من الصوان قدوا
فلا تعجب وليس لهم رصاص
نعم ثاروا وعدتهم حجارٌ
نعم ثاروا وكلهم جياعٌ
دماؤهم على الطرقات مسكٌ
قبلنا بالحلول وأنكروها
و قبلنا الأكفَ لقاء سلمٍ
وضيَّعنا الأمانة والأمانِ
وماذا يحكم الشهداء فينا
دماءُ قد نسيناها ليبقى
ولكنَ الرجال هناك قالوا
فنبت القدس ليس له نظيرٌ

شعر

من كابل.. إلى القدس

د. محمد بن ظافر الشهري

المسلمون والعالم
باسم الحرية
ينحررون الحرية

يوماً بعد يوم تكتشف البشرية أن تقدمها المادي في جميع العلوم النظرية والتطبيقية: في الطب والهندسة ، في الكمبيوتر والالكترونيات، في علم الذرة والمفاعلات النووية ، كل هذا لم يقدم لها السعادة المطلوبة ، ولم يشفها من شقائصها وأمراضها . لقد أنتج ما كان يسمى الاتحاد السوفيتي أكبر عدد من العلماء والمهندسين في علم الفضاء والعلوم النووية ، ولكنه سجل أكبر إخفاق سياسي - إنساني في هذا العصر ، وفي مقابل هذا التقدم العلمي الهائل في الطب الوراثي وفي علم (الجينات) الذي وصل إلى أن (تدر الأبقار حلبياً يحتوي على عقاقير صالحة لشفاء الأمراض البشرية) ومع هذا نرى الفقر والتمزق يلفان معظم ما يسمونه العالم الثالث أو الرابع... كما نرى التسلط الذي تمارسه الدول الصناعية الكبرى نحو بقية دول العالم ومحاولة احتكار واحتجان الأموال بأيدي طبقة معينة وشعوب معينة ، حتى تبقى على حالة من الرفاهية والازدهار لا تزيد التنازل عنها .

إن الانفصام بين الدين والحياة بلغ مدى ربما لم يتوقعه أو يريده الذين دعوا إليه في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، هذا الانقطاع والقطيعة بين العقل والقلب لم يؤد إلا للدمار النفسي والاجتماعي . ولذلك بدأت قطاعات كبيرة من البشرية في العودة إلى الدين - أي الدين - إلى الإيمان بقوة غبية ، يعودون إلى الدين ولو كان ديناً ملقاً غير صحيح، ففي الغرب وفي أمريكا بالذات نجد عودة إلى البروتستانتية ، وفي أمريكا الجنوبية عودة إلى الكاثوليكية، وفي الصين والهند عودة إلى البوذية ، وهذا مؤشر على أن التدين والإيمان بالغيب نظرة أصلية في الإنسان ، وأن ما حاوله الملحدون والمستهزئون بالأديان من الابتعاد عن قوة مؤثرة في حياة الإنسان، وأن الإنسان يقوم وحده؛ كل هذا لم يمنع من بحث الإنسان عن شيء يفقد..

لقد رجع الملايين من المسلمين إلى دينهم في مناطق المسلمين التي احتلها الروس زمناً طويلاً، وذاق أهلها المر والعلقم من هذا الاحتلال، وتنفس المسلمون في أوروبا الشرقية الصعداء ، وببدأت رحلة العودة . وهناك مناطق في البلاد العربية لم يصلها دعاء ولا علماء وت Farage الدولة بالشباب المتدين بالمئات والألاف . كيف وقع هذا؟

إنها العودة إلى الدين بعد هذا الجفاء والجفاف ، بعد رحلة الضنك والعذاب في مسيرة القومية والاشتراكية والعلمانية ، إلى آخر الشعارات الفارغة من أي مضمون حقيقي ، بعد رحلة العذاب مع الأنظمة التي احتقرت الشعوب واحتقرت حقوق الإنسان ، وأقامت نفسها آلة لشعوبها ، وعيدها أدلاء لأعداء الإسلام .

إن الإسلام قادم رغم مظاهر الضعف هنا وهناك، والعجيب أن الذين يعادون الإسلام يضعون رؤوسهم في الرمال ولا يحبون مواجهة الحقيقة، وهي حقيقة ما في ذلك ريب، وأكبر دليل على ذلك شعب الجزائر الذي أعطى صوته للإسلام قبل أن يعطيه لشخص أو لهيئة ، لقد عبر عن مشاعره الداخلية ، ووجد أمامه شباباً لم يتلوثوا بالسرقات ونبه الخيرات ، ولم يتلوثوا بالرشاوي والذب والنفاق السياسي . لقد اتضحت الصورة وانكشف الغطاء ، ومع أن هذا كان معروفاً من قبل ولكنها لم تكن واضحة كما هي في هذه الأيام، إن هؤلاء المتسلطين لا يريدون الإسلام من حيث هو ، كانوا يتهمونه بـ (الإرهاب) و (الأصولية) فهل رحبوا به عندما جاءهم عن طريق صندوق

الاقتراع ؟ الجواب ماثل واضح في هذه الدعاوى الكاذبة التي لا ينقصها شيء من الواقحة وقلة الحياء ، وهذه التعليقات التي قيلت حول انتخابات الجزائر .

إذن فالملخص إبعاد الإسلام بأي شكل من الأشكال، وليس القضية قضية عنف أو سلام ، ولقد قالوا لها دون حياء أو خجل ومحاولاتهم هذه إنما تعرقل المسيرة وتؤخر اليوم المحتوم، ولكن تبقى الحقيقة قائمة هي أن الإسلام قادم ولو كره المشركون، والحمد لله أولا وأخيراً .

أطرا ف القضية الجزائرية

محمد حامد الأحمرى

كلمة الحق في القضية الجزائرية تذكرنا بموقف فخر الدين الرازي تجاه الحشاشين ، فقد كان فخر الدين الرازي يعلم الناس في حلقة في المسجد ما يراه حقاً ، ولم يكن لدى المسلمين آنذاك شبهة فصل الدين عن الحياة ، وفي ذلك الزمان كانت فتنة الحشاشين قد ذرّت ، وبدأت تنشر الإرهاب واغتيال قادة المسلمين ، فاغتالوا نظام الملك ، وحاولوا اغتيال صلاح الدين أكثر من مرة ، وكل ذلك إرضاءً للصلبيين، ووصولاً إلى أهدافهم الباطنية، وكان أحد هؤلاء الحشاشين قد انضم في حلقة الفخر الرازي لمدة طويلة ، ليراقب الشيخ ثم يسكنه عن النقد أو يغتاله، وسائل ذات يوم عنهم فشرح رأيه في الحشاشين وبين خطورتهم على الإسلام وأهله ، ثم خرج الشيخ إلى داره ، وفي ناحية من الطريق انفرد الحشاش بالشيخ - وكان الحشاش ضخماً قوياً - وعدا على الفخر وصرعه أرضاً ، ثم جلس على صدره ، وسل خنجره وقال : عدنى لا تعود إلى نقد الحشاشين مرة أخرى وإلا قتلتك الآن ، فتخلص منه الشيخ بالوعد الذي أراده ، وفي يوم آخر سأله أحد الحاضرين الشيخ عن الحشاشين فقال له : يا بني هؤلاء القوم لا أقول فيهم شيئاً ، لأن لهم حججاً ثقيلة ؛ وأخرى حادة(١).

هذه هي قصة كلمة الحق في بعض الأزمان الماضية ، وهي في زماننا لا تكاد تذهب بعيداً عن هذا ، والناس بالخيار إما أن يقولوا الباطل وتلك هي الفتنة ، أو أن يأخذوا بالعزيمة وهنا قد يتعرضون للسجون والاغتيال والحياة الصعبة ، ولا خير في الترخص في هذا الزمن فقد غالب على الناس . وقضية المسلمين في الجزائر مما لا يسع المرء السكوت عنه ، كيف وهي مواجهة بين الحق والباطل وبين دين الله وقوى الشر والطغيان .

هوية الحركة في الجزائر :

لقد كان الاتجاه السلفي في الجزائر والعودة إلى الكتاب والسنة هو السلاح الذي سله الجزائريون في وجه فرنسا ، حيث قبلت الطرق الصوفية في الجزائر بالمعايشة مع المستعمر وموالاة أعداء الله، أعداء المسلمين بل قام كثير منهم بإصدار الفتاوى ضد حركة الاستقلال. وثلاثون عاماً مرت بعد الاستقلال لم يبد أنها غيرت من قناعة هذه الطرق قديمها وجديدها، فقد كان لها نفس الموقف من الجبهة ، فهذه الطرق الآن في صف أعداء التوجه الإسلامي في الجزائر ، وقد اجتمع مؤخراً مائة من رؤساء الزوايا والطرق الصوفية وأعربوا عن تأييدهم للمجلس الأعلى للدولة ورئيسه بوضياف (٢) نكاية بالجبهة الإسلامية للإنقاذ ، وانقياداً للمصلحة الفرنسية العليا ، التي لم يزل الصوفية يفكرون بها منذ أيام الاستعمار ، حيث وقفوا معها ضد جمعية العلماء وضد الثورة على المستعمر ، ولا يظهر أنها قادرة على تجاوز عقدها الماضية ، فلم يلهمهم الله فهماً في دينه بنصرة

الإسلام أو المظلومين ، كما لم يوفقا في مكسب دنيوي محض بمشاركة سياسية كريمة . ولم يزل هؤلاء الطرقة تياراً يؤمن بالمهادنة والميوعة والتزلف ، وقد وجد في السنوات الأخيرة تيار سياسي صوفي حارس للمصالح الأجنبية ، ليس في الجزائر وحدها حيث يلوى شيخ الطريقة عنق الأمة تحت تلك الأقدام القذرة وإن كانت أقدام النصارى :

إذا كان الغراب دليلاً قوماً يمر بهم على جيف الكلاب

وجبهة الإنقاذ الإسلامي حركة سلفية فيها بساطة الإسلام ، ووضوح شعارات القرآن والسنة ، وفيها عزة الواضح ، وجماهيرية الاستجابة ، وظاهرة الالتزام بالسنة ، والأمة المسلمة عندما تصنم على امتلاك حقوقها فإنها لا تؤمن بالشيخ الوصي والوكيل عنها ، المخدر لعقلها، الذي بيده كل الخيوط والأسرار وطرق السماء والأرض! ليس الأمر كذلك ، فكلام الله وهدي رسوله مرسوط ميسور ، والسبق للعامل الملائم المتقدم إلى ساحة العمل والوعي ، وبذل النفس والمال والجهد ، وليس في هذا أحاجٍ وألغاز يفهمها الغازي المستعمر وحده ، ويفسرها للناس شيخ الطريقة حسب مصالح الأول .

والأمة لها عقل ، قد تخطئ مرّة ، وقد تُضلّل مرّة ، ولكن ليس دائمًا . والجبهة الآن تمثل قضية المسلمين في الجزائر ووعيهم بأنفسهم وبمصلحة أمتهم ، وتحديداً "العودة إلى الله" بعد غربة طويلة صنعوا الاستعمار ثم زادها بعداً الحكومات المتتالية ؛ التي كانت وجهاً عربياً للفرنسيين .

فرنسا والغرب :

دار حديث في الأوساط السياسية في أعقاب أزمة الخليج عن ترتيب أوروبي أمريكي يلتزم بإبقاء نفوذ فرنسا قوياً للمرحلة القادمة في شمال أفريقيا ، وزار ميتران تونس وأبدى عدم رضاه عن وجود نفوذ الثقافة الأنجلوسكسونية في تونس ، ثم التزم لتونس بإرسال ثمانمائة مدرس للغة الفرنسية تدفع نفقاتهم فرنسا . وفي الجزائر ذكر سيد أحمد غزالى أن فرنسا تعامل الجزائر وكأنها لم تستقل بعد ، أو أن الفرنسيين لم يقبلوا باستقلال الجزائر^(٣).

وقد كان توقع فوز الجبهة مثار هلع كبير في الصحافة الغربية والفرنسية بوجه خاص ، تعكس ذلك بعض عناوين الصحف الفرنسية : "فرنسا: الدولة في حالة تأهب^(٤)" وفي لندن "الأخبار المفجعة بفوز الجبهة الإسلامية للإنقاذ"^(٥) وبعد الانتخابات رأى الفرنسيون في نجاح الجبهة خطرًا لا يهدد فقط الجزائر والعلاقات مع فرنسا لكن أيضًا يهدد الأمن الفرنسي^(٦) . ولم تخف وسائل الإعلام الغربية خوفها الشديد مما حدث ، وقالوا : هذا الخطر ليس تهديداً لعلاقاتهم السياسية فقط ، بل تهديداً للثقافة الغربية في الجزائر ، وتساءلوا عن مصير المسرح وبرامج التلفزيون والجرائد والمدارس التي تعتمد اللغة الفرنسية وهي الواجهة الفرنسية في الجزائر ، وتساءلوا أيضًا عن مصير شمال أفريقيا كله هل يعني هذا عودة الإسلام قوة في الساحل الجنوبي للبحر الأبيض المتوسط؟ وهل يعني هذا تغييراً شاملاً في المنطقة ، وبالتالي بداية لتاريخ مختلف عن الذي سجلته أوروبا في عصور سيطرتها على العالم .

وفي واشنطن ذكر المتحدث باسم البيت الأبيض خطورة وصول الإسلاميين إلى الحكم في الجزائر وأن ذلك سيكون مهدداً لعلاقة الجزائر مع الغرب ، ولما تولى الجيش أعلنت أمريكا أن هذه مسألة جزائرية داخلية ، وذكرت بعض المصادر ما يوحي بعلاقة ما بين الجيش في الجزائر والسلطات الأمريكية^(٧) . وأشار نفس المصدر إلى أن "المؤسسة العسكرية" ستتجهض المناورة الأصولية^(٨) . ومن المعروف أن أمريكا وفرنسا ومن يدور في فلكهما يريدون بقاء مصالحهم في الجزائر والتي على رأسها :

١- إبعاد الإسلام عن السياسة تماماً ، وذلك بإصدار قانون يمنع استغلال الدين في السياسة .

هدية لمكتبة شبكة مشكاة الإسلامية

- ٢ - فتح الأسواق للبضائع الأوروبية والأمريكية .
- ٣ - تدفق الثروات الجزائرية رخيصة إلى الخارج .
- ٤ - فتح المجتمع الجزائري للتغريب والإبقاء على الثقافة الفرنسية بكل أشكالها .

الديمقراطية :

كانت الصادرات الأوروبية إلى العالم الإسلامي عديدة ومختلفة ، بدءاً من وسائل الحياة الحديثة ، إلى الأسلحة والأفكار والمبادئ ، ومرت بنا مرحلة كنا نظن فيها هؤلاء الغربيين حريصين علىأخذ كل شيء عنهم ، وكتب من قومنا من كتب مرحباً بالزمن الغربي والحياة الغربية ، وانقسمنا وما زلنا ننقسم تجاه ماذا نريد وماذا يريدون لنا . اختصاراً لقول تبين أنهم مع فرهم بتقليلنا لهم لكنهم لا يرضون بأن تكون مثلهم أحراراً ! مهما حرصنا على ذلك .

وقد كان هؤلاء الغربيون العنصريون دائماً لا يرون غيرهم في مستواهم الإنساني والعقلي ، وبالتالي فنحن لا نستحق من الكراهة والحرية والإنسانية ما يستحق الإنسان الغربي ، وقديمًا وصف شاعرهم كيبلنگ الإنسان في العالم الثالث بأنه مركب من نصفين "نصفه طفل ونصفه شيطان" ، وحين كان غاندي يلابن ويلاطف الإنجليز وهو ابنهم المخلص الذي تربى وعاش على ثقافتهم كان يصفه أحد كبار الساسة البريطانيين بـ "القرد العاري" . واستضاف أحد الأفارقة فرنسيًا وفرش له في داره خير ما عنده وأكرمه فكتب عنه الفرنسي : "لقد كان يزحف على طرف الفراش كما يزحف الكلب" .

لهذا فإن هذه الشياطين والقرود والكلاب - في منظور الغرب - لا تستحق الديمقراطية مهما سعت إليها ، فهي ميزة وتكريم للإنسان الغربي فقط ، ومهما تبجح الغرب أنه يساندها في العالم الثالث فإنه حقاً يحاربها إذا كانت ستحمل الكرامة والحرية أو شيئاً من هذا للإنسان في العالم الإسلامي ، وذلك ليس لأنه لم يبلغ درجة عالية في إنسانيته - كما تقول الفلسفة السياسية لداروين - ولكن لأن الغرب الآن يقف معنا على أرض واحدة وميدان حرب جديدة منذ بدأنا نعي أنفسنا أخيراً . ونطالب بحريتنا وكرامتنا بين سكان هذا العالم . ويختلط بعض الكتاب والدعاة عندما يرون أن الغرب يمكن أن يصدر لنا هذه البضاعة "الديمقراطية" . ولكن أحداث الجزائر اليوم شاهد يفتأ عين المخالف ، فها نحن لما حاولنا تقليدهم أو الاستفادة من بعض ما عندهم حاربوا وحرمونا حتى حق تقليدهم ، وهكذا في الصناعات سيقفلون أسواقهم علينا لو حاولنا تصدير بعض البضائع اليésire ، وأيضاً يمنعوننا حتى أن ندفع لهم الملابس لشراء أسلحة من مصانعهم مما التزمنا بمواثيقهم ، وإن كان عائدتها المالي خيالياً بالنسبة لهم ، ويبقى شبح كرامتنا وحريتنا واستقلالنا يرهقهم ويفكرون فيه كثيراً . ويبقى

السؤال : هل يعامل العالم الغربي الناس في خارجه كبشر حقاً ؟

الحق الذي لا مرية فيه أنهم لن يرضوا لنا خيراً أبداً ((ما يَوْدُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكُونَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ)) . [البقرة ١٠٥] ، أي خير ! حتى الذي يمكن أن يحمله إلينا بعض أفكارهم التي لا نشك في انحرافها والتي لا تقوم على أساس نعتقد شرعيته ، ويمكن أن يعطونا بعض أفكارهم ومذاهبهم ولكن بشرط أن نترك الإسلام ، وقد تسأله أحدهم : هل ستستمر الديمقراطية في الجزائر ؟ ثم قال : "نعم ولكن بدون إسلام" (٩) وقد تبني بوضياف هذا القول وترجمه إلى العربية على أنه من كلامه وهدد به الجزائريين . وأنه لا يسمح باستخدام الدين في السياسة "لأن الإسلام مقدس" ؟؟ نعم ولأن السياسة بمفهومه معاكسة للقدس .

الإسلاميون هم سبب الديكتاتورية :

كان من الممكن في العالم العربي أن تتوفر فيه ديمقراطية كالتي في الهند ، وقد كان في مرحلة ما بعد الاستعمار بوادر شيء من ذلك ، ولكن حين بدأ الصوت الإسلامي في الظهور من بلد إلى آخر

هدية لمكتبة شبكة مشكاة الإسلامية

كان الجواب الغربي : تسلط استبداد العساكر عليهم ، من المعلوم في قصة الجزائر أن الغرب والشرق كان سيرضى عن نتائج الديموقراطية في الجزائر ، لو خرجت النتائج لغير الجبهة الإسلامية وكانت الجزائر ستجد من التحية والإشادة بها وبإيمانها بالحرية والديمقراطية ما تجده الآن من الإشادة بهذه الديكتاتورية المكشوفة التي لا يحجبها إلا ألاعيب زائفه يدركها أنصار الحرية وأعداؤها على السواء . إن العالم يقرأ أو يسمع هذه المواقف العالمية ويستغرب تماماً هذه الجريمة التي يمارسها العالم ضد ما يدعى من مبادئ الحرية والديمقراطية وحق الشعوب في اختيار حكامها وتقرير مصائرها ، وفجأة إذا هذه الدول وهذه المنظمات تمد يدها لاغتيال كرامة شعب مسلم وحريته ، وتويد الاستبداد والسجون والتعذيب للقيادات الجزائرية لأن هذه القيادات مسلمة داعية إلى الحق من خيرة المجتمع الجزائري : وقالت هذه القوى بصرامة لا تحسد عليها : مرحباً بكل فساد يقف ضد المد الإسلامي . وكنا نتوقع المرواغة في المواقف والنفاق ، ولكن صراحة أعداء الإسلام في مواجهة المسلمين كانت فوق كل تقدير .

الجيش :

مع بداية تصاعد مطالبة المسلمين في الجزائر بأن يحكموا بالكتاب والسنة وأن يتخلصوا من الاستبداد أصبحت القوى المخالفة لرغبة مصلحة الشعب تراهن على لعب البطاقة الأخيرة ضد رغبة الناس وحريتهم وقد نشرت إحدى المجالس الفرنسية(١٠) خبراً يقول أنه في يوم ٢٩ كانون الأول بعد ثلاثة أيام من الدورة الانتخابية الأولى غادرت ثلاثة طائرات من طراز هرقليز مطار وهران إلى الجزائر العاصمة محملة برجال الاستخبارات العسكرية يلبسون لباساً شبهاً بلباس المسلمين وموفرين للحاجم وذكرت المجلة أن السيناريو الذي يتوقعه كثير من الدبلوماسيين الغربيين(١١) وكثير من الجزائريين أن تجري حوادث استفزازات دامية خلال الأسبوعين الأولين من السنة الجديدة ، تعطي فرصة للقضاء على الجبهة الإسلامية في الجزائر وتترك الجزائر تعيش في جو من عدم الاستقرار وقد تقع تحت سيطرة الجيش .

وقال المعلقون : "المعروف أن تصميم هذه المؤسسة "الجيش" على قطع الطريق أمام المسلمين للوصول إلى السلطة ليس جديداً"(١٢) . وكان معروفاً منذ ما قبل انتهاء الانتخابات أن الجيش سيتدخل في حال فوز الجبهة الإسلامية بالنتائج واستعد بقواته وحاصر بها المدن حتى تم الانقلاب العسكري الذي جاء بهذه الشخصية الغائبة عن الجزائر لمدة تزيد عن ٢٧ عاماً إلى الحكم ، والذي يشير له المراقبون أنها شخصية يرضى عنها أعداء الجبهة الإسلامية وصفها حشاني بالقيادة المستوردة . وهي شخصية عارضة في هذه المرحلة ، حيث القرارات والسلطة الفعلية بأيدٍ أخرى وهو ستار مدني لحكم عسكري .

وقد بدا شأن الجزائر في هذه الأيام يوحى بأن المحكمين في المجلس الأعلى أقرب إلى حال مجموعة من السفراء لمصالح خارجية . فقد علقت وسائل الإعلام على هؤلاء الأشخاص بأن فلان رجل فرنسا والأخر رجل الجيران والثالث...والرابع... ولم تحمل هذه الأسماء من يمثل واقع الشعب وحاجته ، وهكذا واقع السياسة في العالم الثالث السياسة القادمة من الخارج أهم من الشعب ومصالحه ، وهذا ما جعل غزالى يشك في أن الفرنسيين لم يقبلوا بعد استقلال الجزائر كما سبق . وهذه الحقيقة هي التي تفسر عداون الجيش على مصلحة الشعب ومصدارة حقوقه إذ أن فيه من يعمل لمصالح أخرى كما سبق في فقرة "فرنسا والغرب" . على الرغم من أن قطاعاً كبيراً من الجيش لا يبدو أنه ذو قناعة تامة في الخروج على الدستور وأنه لا يريد المواجهة العسكرية مع الشعب . وهذا ما جعل الانقلابيون يفرقون من خطابات عبد القادر حشاني زعيم الجبهة الإسلامية للجيش ومناشدته للجيش بتقوى الله وعدم قتل الناس وجر البلاد إلى حرب أهلية ، ونادي الجيش بترك دعمه للاستبداد .

هدية لمكتبة شبكة مشكاة الإسلامية

وأصبح الجيش في الجزائر وللأسف تلك العصا التي يُجلد بها الشعب بإدارة خارجية وتلك مأساة الجيوش في العالم العربي ذات قدره فعالة في التدمير وإذلال وقمع الشعوب في الداخل ، ومقدرة نادرة في الهزيمة أمام كل عدو خارجي .

ولا يصعب تفسير هذه الظاهرة إذ الجيوش في عالمنا غالباً متخلفة عن الوعي الديني العام ، وتدين بالولاء لعقليات قمعية ومستبدة ، ربت جيوشها على الاستبداد وفردية القرار والطاعة العميماء في الحق والباطل ، ويحال بينها وبين وسائل المعرفة والوعي عن قصد ، لهذا كانت سلاحاً خطيراً يضرب بلاوعي . وواجب الأمة تدارك هذا الفساد وإيجاد هدنة ما بين الشعوب وجيوشها ومصلحة الأمة لا تختلف بحال عن مصلحة الجيش أخيراً .

المسألة الاقتصادية :

تناول بعض أعداء التوجه الإسلامي في الجزائر القضية الاقتصادية وذكر أنها هي السبب في إقبال الشعب على الحل الإسلامي وعلى كل ما حدث ، وهؤلاء الكتاب فيما يبدو ليسوا شيوخين ، وهم يعرفون كذب هذا الذي زعموه ، وأيضاً فهم لا يملكون الشجاعة في قول الحق ، ولا الخروج من عقدة الحقد على التوجهات الإسلامية في العالم الإسلامي ، لهذا يخرجون بتحليلات ساذجة وبعيدة عن الصدق ، وتؤكد ثقافة التزوير التي يشهدها عالمنا الإسلامي لمصلحة أعدائه . نعم في الجزائر حالة اقتصادية سيئة ، كما يقول أحد الصحافيين (١٣) : - وليس إسلامياً حتى لا نتهم - "إن الشعب الجزائري ذاق طعم الحرية بعد سنوات طويلة من حكم الاستبداد والديكتاتورية والرأي الواحد والحزب الأوحد . وبعد عقود متصلة من القهر والنصب والفشل والخداع باسم الاشتراكية مرة وباسم الحفاظ على حقوق الشعب العامل مرة أخرى ، اقتنع الشعب الجزائري بهول الجريمة التي ارتكبت في حقه فلا الأحلام التي عاش عليها بعد الاستقلال تحققت ولا الثروات الطبيعية الهائلة التي وهبها الله له فوق وتحت الأرض الجزائرية صرفت على تحسين مستوى المواطنين ، ولا المتابعة والأعباء المعيشية الصعبة نجح الحكام في التخفيف من حملها وضغطها" (١٤) . ليس هذا فحسب بل إن

السرقات التي سرقها الحكام والمتذمرون السابقون والتي ذكرت وسائل الإعلام إمكان عودتها من الحسابات السرية في أوروبا بلغت ٢٠ مليار دولار (١٥) وتزيد بعض التقديرات هذا المبلغ إلى ثلاثة مليارات دولار فالذين لا يؤمنون بيوم الحساب ، ولا يؤمنون على مصلحة الأمة سواء جاءوا من شبهة التحرير أو من العساكر هم الذين سرقوا ثروات الأمة ، ورجال الإسلام هم موضع الثقة حقاً في هذا العصر وفي كل عصر ، ثم لماذا لا يتوجه الجزائريون إلى حزب آخر إذا كان الأمر هو الضائق الاقتصادية ، بل لو كان الأمر هكذا لدعم الشعب الجزائري جبهة التحرير وسيد غزالى ، كيف وقد تدفقت القروض على الجزائري بمجرد وصوله لأنه رجل الغرب ، وقد تكفل لهم بحرب الجبهة الإسلامية للإنقاذ ، ولو كان هدف الشعب فقط أن يملأ بطنه لوجد غير الجبهة من رفع هذا الشعار . لكنها الدوافع الإيمانية أولاً وقبل كل شيء ثم فساد الحكومات العلمانية المتواتلة أكد الناس حاجتهم إلى دين الله وعدل الإسلام . والجبهة كما يعلم أي عاقل لن تحمل لهم ثروات العالم . والمسألة الاقتصادية تحديدهم ولا شك لكنهم يثقون على الأقل أنها لن تذهب وتسرق ثرواتهم وستعمل الجبهة الإسلامية على تخفيف الديون الباهظة التي أصبحت الحكومة غير قادرة على تسديد أرباحها الربوية

أطراف أخرى للقضية :

يندرج كثير من القوى الفاعلة في الساحة الجزائرية تحت بعض الأطراف السابقة ، فجبهة التحرير ذات الاسم والشهرة التاريخية أصبحت ميراثاً عاماً للشعب بمالها وما عليها ، وبقية رجالها إما

هدية لمكتبة شبكة مشكاة الإسلامية

وأقعون تحت نفوذ الجيش و منهم طائفة أخرى لها صوت معارض لسلطة الجيش ولا يظهر أنهم جادون في اتخاذ موقف يخرج عن دائرة مصالح الأطراف المعاشرة للجبهة الإسلامية .

البربر :

يشكل البربر ، قرابة ٤ ملايين (١٦) من ٢٦ مليون عدد سكان الجزائر ، منهم طائفة كبيرة تتبنى منهج وأسلوب الجبهة الإسلامية ، بالمطالبة بعودة البلاد إلى الحياة الإسلامية ، وبرز منهم قيادات إسلامية من أمثال الشيخ محمد سعيد في الجزائر العاصمة ، أما في مناطق القبائل "تizi Ouzou" فقد اتضح مناصرة عدد منهم لآيت أحمد "القوى الاشتراكية" وهم منطقة نفوذه واستغل قضية البربر مواجهاً بها الجبهة الإسلامية وعندما أسس آيت أحمد حزبه البربرى في فرنسا بدعم من فرنسا أكد على قضيائنا عديدة منها إبعاد البربر عن الإسلام ولغة العربية ومحاولة كتابة اللغة الأمازيغية البربرية وإحلالها محل اللغة العربية، وبالتالي يستطيع تشكيل أقلية وحقوق أقلية ومسار فتنية في الجزائر عسى أن يتلافي الإسلاميون تقصيرهم في حقوق إخوانهم وأن يوقفوا الفتنة قبل تعاظمها .

اللبراليون التحرريون :

وهناك ما يسمى بالقوى اللبرالية "التحررية" وهي القوى التي تراعي مصالح الغرب وتؤمن بأفكارهم وأسلوب حياتهم ، وقد درج هذا القطاع من الناس على التحرير على الإسلام ودعاته ووصهم بتلك الألقاب التي كانت ترددتها فرنسا زمان حرب التحرير وكانت تصف المجاهدين في الجزائر بأوصاف التعصب والرجعية . والآن تردد بقایا جيوب الظلام العلماني نفس المقوله بكل ببغائية وسذاجة فتصف الجبهة بالتعصب والرجعية والتطرف والخوف على الانحلال والدمار الاقتصادي الذي جلبه مرحلة الضياع في الجزائر . وهذه الطائفة تمثل الطابور الخامس في كل بلدان العالم الإسلامي وهم دعاة الفساد وجلاوزة الاستبداد ويحلو لهم أن يلبسو لباس الثقافة اللبرالية ، وهم يعكسون هذا .

وليس لهم قوة مهمة في الجزائر غير أنهم يتمتعون برعاية عناصر الدكتاتورية في الجزائر والدعم الغربي المحارب للتوجه الإسلامي ويتوزعون على الأحزاب المعاشرة للجبهة ويقيم بعضهم في فرنسا . وهذه الطائفة مع أمثالها خارج الجزائر تقوم بدور الدعاية المضادة للإسلام ولمصلحة الجزائر ورغبة شعبها .

إن سير الأحداث لا يدل على أن أداء الإسلام يمكن أن يسمحوا له بالوجود ولا للمسلمين بممارسة حكم في حكم أنفسهم بما يريدون (١٧) فالمسلمون أسرى في بلدانهم لقوانين عبودية غريبة جائزة ؛ وأمام أعيننا هذا المشهد الذي يثير عجب كل عاقل ، ويثير حمية كل مسلم ، ينتهي حقه وحريته وكرامته ، فعندما نستخدم قوانين الغرب وأعرافه لتنازل بها حقاً لنا ينكر هؤلاء لقوانين التي سنوها ويحطمون ما أسموه مبادئ وحريات وديمقراطيات ، ويواجهون المسلمين بالسجون والمطاردة والتعذيب والتخويف وهم الذين شهد قانونهم ومحاكمتهم بما أوصلوا له العباد من فساد وفقر وخوف ، ثم يستمرون ويدعون بأنهم سوف يسمحون بالديمقراطية بعد إصدار قانون يحرم استخدام الإسلام في السلطة ، وهم اليوم يمنعون المساجد أن تذكر فيها قضيائنا المسلمين ويحاولون إغلاقها وجعلها منابر حكومية ، ((وَمَنْ أَظْلَمُ مِنْ مَنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانُ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خَرْبٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ)) [البقرة ١١٤] .

ختاماً :

لقد تبين من الانتخابات التي كانت نتائجها صحيحة ولم يثبت لدى اللجنة القضائية (١٨) خلاف ذلك وبطلت الطعون التي قدمها أداء الجبهة الإسلامية أن الشعب يرى قيادته الفعلية التي

هدية لمكتبة شبكة مشكاة الإسلامية

تحقق مصلحته وتخوجه من الفساد هي الجبهة الإسلامية ، وأي قوة غيرها تهيمن عليه إنما هي سلطة يرفضها الشعب ابتداءً ، ويعلم أنها ستسوّقه في طريق أشد ظلمة مما حاولت الخروج منه ، وسيمارس المغامرون من عساكر الانقلاب الجديد أسلوبهم في نهب الثروة وإذلال الشعب ، حتى ترضى فرنسا ويرضى غيرها من القوى التي أيدت مجئهم ويسرها كل شر يقع لل المسلمين . وربما حدث ما لا يتمناه مسلم من حرب أهلية قد لا يستطيع مثيروها إيقافها وقد تتسع دائتها وتترك كل شيء بعدها خراباً .

وقد حرصت الجبهة على تجنب الاضطرابات وضبط النفس والتعامل بأسلوب إسلامي راقٍ ومتزن ولم يتتوفر هذا الانضباط والهدوء في مواجهة الموقف وتقدير المسؤولية من غيرهم ، في حين يقع الظلم والتزوير عليهم، فهل الإسلاميون قادرون على تحمل المزيد من الأذى وضبط النفس أم سيواجهون من الآن وتكون العاصفة ، أم هل سيقبلون بالتأجيل إلى جولة أخرى والصبر على مرارة الموقف حتى يعودوا أنفسهم لجولة أخرى يقابلون بها هذه الانتهازية والسلطوية التي تصر على إبعاد الشعب عن دينه وهويته ومصالحه ، والعمل على قطع جذور الفساد والتبعية ، وإحلال السلم والأمن والعدل محل النهب والسطو والجور الذي يصفق له العالم المنحاز بكل صفاته؟ ليس طريق الحق سهل الورود، فدونه فتن وابتلاءات قص الله في كتابه منها ما يجعل المؤمن يثق بالحق ويدافع عنه ويصبر عليه مهما لقي في طريقه بقطع النظر عما حقق . ((ألم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتَرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ)) والذي أصبح معروفاً لدى عدونا ويعاملنا وفقه هو أن يمارس علينا أسلوب القتل والسجن والإرهاب ثم يستمر في طغيانه بلا رادع بواسطة وكلائه عندنا ويحقق بهذه الممارسة كل رغبات الصليبيين واليهود الذين يسمون علماء الأمة ودعاتها وقادتها ورجال إنقاذهما بالمتطرفين والأصوليين وقد وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم- والأنبياء بأكثر من هذا ، وما أسعد اليهود والنصارى حين يرون الدبابات والأسلحة والجيوش - وكل هذا يقال أنها جيوشنا وسلاحنا - تسدّد ضربات للأمة وتقتل وتسجن وتشرد خيار رجالها وقادّة العلم والفكر والسياسة فيها ، إلا إنه لم يقدم لعدونا من النصرة علينا وهزيمتنا مثلما قدمته جيوشنا التي تخصصت في قتلنا وتعويق أي سبيل لنا في النهوض أو أنها على أحسن الظنون استخدمت بلاوعي . اللهم إنا نسألك لإخواننا الثبات على الحق وألا تعرضهم لفتنة أكبر وأنت القادر على ذلك .

الهوامش :

- ١- في بعض روایات القصة أنه وعد به مال إن سكت (راجع كتاب "الحشاشون" ، برنارد لويس) .
- ٢- الحياة ، ١٩٩٢/١/٢٣ م
- ٣- نص قول غزالى : "إن بعضهم في فرنسا ينظر إلى الجزائر كما لو أن هناك تضامناً بينهم وبيننا . لكن هناك من يستمر في التفكير في مشاكل الجزائر كما لو أنها مشاكلهم لأنهم لم يقبلوا بعد استقلالنا ، الحياة ، الأربعاء ، ١٨ رجب ١٤١٢ ، ١٩٩٠/٤/٣٠ ، ٩١٩ ، ١٩٩٠/٦/١٤
- ٤- عنوان رئيسي لمجلة لوبيوان الفرنسية عدد ٩١٩ ، ١٩٩٠/٤/٣٠ ، ١٩٩٠/٦/١٤
- ٥- المصور ، ٩٢/١/٣ تلخيصاً عن لومرن드 الفرنسية
- (٨-٧)- الوطن العربي ٩٢/١/١٠
- ٦- الغارديان ويكيلى ، ٩٢/١/٢٦
- ٧- الكنار أنشيني Le canar enchainé ٩٢/١/١
- ٨- لأنهم هم الذين صمموه فلا يرون مجالاً لتوقع آخر

هدية لمكتبة شبكة مشكاة الإسلامية

- ١٢- الأسبوع العربي ، عدد ١٦٨٤ ، كانون الثاني ١٩٩٢ م .
- ١٣- إبراهيم سعدة
- ١٤- أخبار اليوم ١٣ رجب ١٤١٢ ، ١٨ كانون الثاني ١٩٩٢
- ١٥- القدس ١٨ رجب ١٤١٢ ، ٢١ كانون الثاني ١٩٩٢
- ١٦- ليس هناك احصاءات دقيقة في هذا الموضوع .
- ١٧- قد يسمح للمسلمين بنشر كتب عن الإسلام وإرسال دعاء من الأزهر وغيره أو بث برامج عن الإسلام في حدود ولكنهم لا يمكن أن يسمحوا بإقامة دولة للإسلام ولو في جزيرة في المحيط لأنها بداية ل نهاية التسلط الصليبي على المسلمين ، سيد قطب ؛ الإسلام ومشكلات الحضارة" فصل طريق الخلاص .
- ١٨- تكونت اللجنة من سبعة أشخاص ثلاثة منهم قضاة سابقون وقد خرجوا بإثباتات سلامة الانتخابات وردوا الطعون وهذا من الأسباب التي عجلت بخروج الجيش قبل الدورة الأخيرة ثم أخرج الجيش خطاباً سياسياً ادعى فيه تزوير الانتخابات ، علمًا بأن الأطراف المتنافسة المهمة ترى نزاهة الانتخابات . مع وجود بعض المناطق لم توزع فيها البطاقات الانتخابية ، وكانت من مناطق نفوذ الجبهة .

رسالة إلى جبهة الإنقاذ الإسلامية

ببالغ الفرحة والسرور تلقينا خبر نجاحكم في الدورة الأولى للانتخابات الجزائرية والتي خرجت بنتائج باهرة أفرحت كل مسلم يحمل هم الإسلام في قلبه . وأغاظت كل عدو وحاقد ومنافق لا يريد لكمية الحق أن ترتفع ، ولا لأصحابها أن يعلو شأنهم تماماً كما وصفهم الله عز وجل : ((إن تمسّكُمْ حَسَنَةً تَسْوِهُمْ وَإِنْ تُصْبِكُمْ سَيِّئَةً يَؤْرُحُوا بِهَا)) [آل عمران ١٢٠] .

ونحن - علم الله - فرحنا بفوزكم الذي إن دل على شيء فإنما يدل على أن الشعوب المسلمة التي ذاقت الذل تحت نير المناهج الأرضية تشتاق إلى التحرر من نير العبودية للمناهج والأنظمة الوضعية الدخيلة ، إنه الظما إلى جرعة من النبع السلسلي بعد أن أفسد الملح الأجاج حياتنا . إن انتصاركم - أيها الأحبة - عزاء لنا في هذا الزمن.. زمن المهزائم المتكررة والاستسلامات المتتابعة

لا يغرنكم ما صنعوا وما سيصنعوه ليفسدو عليكم هذا الانتصار الرائع فأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين

أيها الإخوة : لقد ساعنا هذا النفاق العالمي الذي يكيل الأمور بمكيالين ، فمن حق شعوب العالم قاطبة أن تختار المنهج الذي تريد والقائد الذي تريد. أما الشعوب المسلمة فهي شعوب فسدت أدواها . فلم تبلغ بعد سن الرشد لتختار من تريد .

أيها الإخوة: لقد ساعنا هذا التضامن الإقليمي الذي لم يفلح قط إلا في محاربةحركات الإسلامية التي تريد العودة بالأمة إلى عزتها واستقلالها .

إن هؤلاء العلماء المحليين يرفضونكم ويرفضون أمثالكم . وهم في المقابل يدخلون اليهود في نسيجنا السياسي والثقافي . فقبح الله قوماً جعلوا اليهود أصدقاء وجعلوا الدعاة والمخلصين أعداء يحرضون

هدية لمكتبة شبكة مشكاة الإسلامية

على أيديهم وإخفات صوتهم بكل سبيل . مرة أخرى أيها الأحبة : لا يغرنكم ما صنعوه وما سيصنعونه ليفسدوها عليكم هذا الانتصار الكبير فأنتم الأعلون إن شاء الله .
أيها الإخوة : نحمد الله أن عاد للجماهير وعيها فاختارت الإسلام ليكون هو الحل والمنهج ، لقد قدمتم للدعاة نموذجاً متقدماً من نماذج العمل الإسلامي الجماهيري ، ولكن الجماهير وحدها لا تصنع نصراً ، إننا نطمح بعد نجاحكم في العمل الجماهيري ، أن تقدموا لنا نجاحاً آخر في مجال بناء القاعدة الصلبة وإعداد الكوادر المؤهلة.

إن العمل الإسلامي على مستوى الأمة - والجزائر جزء منه - بحاجة إلى فلة تتقذ الموقف . بحاجة إلى رجال متجردين ينبرون لعملية الإصلاح السياسي والاقتصادي والإعلامي وقبل ذلك الإصلاح الديني العقدي .

هؤلاء هم الذين سيقومون بتربيبة الجماهير ونشر العلم الشرعي بينها ، حتى يصبح الإسلام مطلباً شعبياً ملحاً تغضب من أجله الجماهير أكثر من غضبها لمطالبها اليومية .

إن هذه الجموع المباركة التي تربت على يد القاعدة الصلبة لن تقف في وجهها ألا عيب الساسة العلمانيين ، ولن يرهبها سيف الجيش المسلط ، كما لن تغريها الوعود بالرخاء والرفاهية .
أيها الإخوة : إن حجماً هائلاً من الكيد العالمي والم المحلي يكيد لكم ولأمثالكم من الدعاة المخلصين ، وأحياناً ينسينا التأييد الشعبي المكثف حجم هذا الكيد فيطنن الظان أننا قاب قوسين من قطف الثمار .
أيها الإخوة: نطالبكم بآلا تدعوا أعداءكم وأعداءكم يستجرونكم إلى معركة لم تحددوا مكانها ولا حجمها ولا أدواتها . وكما أن البذرة لا تصبح ثمرة يانعة بين عشية وضحاها - وأنتم أدرى بذلك - في أرض الزيتون والعنب، فكذلك الدعوات بحاجة إلى التعهد والرعاية والبناء حتى يصلب العود ويخرج شطأه ويستغلظ .

أيها الإخوة : لا تظنوا أنكم تقرون في أرض الجزائر بمفردكم ، فهناك الآلاف والألاف من إخوانكم في شتى بقاع العالم يرقبونكم ويعيشون معكم بقلوبهم ، إن الروح الإسلامية باقية وإن ظنوا أنها قد أخذت عندما هدمت الخلافة، ومزق الاستعمار أراضينا إلى دويلات صغيرة هزيلة .

هذه الروح الإسلامية هي التي تجعل الهندي المسلم يفرح بفوز الجزائري المسلم ، وهي الروح التي جمعت المسلمين على شتى لغاتهم وأعراقيهم في أرض أفغانستان المسلمة . لذلك - أيها الأحبة - حافظوا على هذه التجربة الناجحة وخذوا بأسباب النصر الشرعية التي ذكرها الله في كتابه ، فنجاحكم سيكون نموذجاً لغيركم ، وبداية لحقبة جديدة في تاريخ المسلمين المعاصر .

واختتم رسالتي هذه بدعاوة إلى الدعوة إلى الإسلام في الجزائر من خارج الجبهة فأقول لهم:
- إن العدو لا يفرق بين معتدل ومتطرف ، فالجميع أصوليون يجب محاربتهم والقضاء عليهم .
أيها الإخوة : ما أحوجكم إلى الاتحاد والتعاون ونبذ الفرقـة والاختلاف كما قاله تعالى : ((ولا تكونوا كَالَّذِينَ تَرَكُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ)) [آل عمران ١٠٥] .
((وَلَا تَنَازَّعُوا فَفَقَشُلُوا وَتَذَهَّبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ)) [الأفال ١٤٦] .

إن الخلاف شر وخصوصاً في مثل هذه الظروف العصيبة من تاريخ المسلمين ، وتاريخ الجزائر على وجه الخصوص . وهذه الظروف تحتم التعاون مع إخوانكم في الجبهة ومساعدتهم ، وأن لا تكونوا سهماً في كنانة العلمانيين الذين بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر ؛ يستخدمونه ضد كل من يلتـف المسلمين الصادقون حوله ، وأختـم رسالتي بآية عطرة من كتاب الله الكريم : ((الْتَّبَّاعُونَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذْى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ)) [آل عمران ١٨٦] .

ماذا يريدون؟

من الملفت للنظر هذا الdoi الإعلامي والسياسي الهائل الذي أعقب الدورة الأولى من الانتخابات في الجزائر ، وتداعيات الأحداث التالية لهذا الحدث المزلزل . ومع هذا الكم الهائل من التحليلات والتوقعات والإشارات فإن الحدث الجزائري يظل هائلاً ، مدوياً ، بل زلزاً بكل المقاييس والمعطيات، ولا أظن أن هذا الحدث قد أخذ أبعاده وأثاره وبصماته المستقبلية بعد، وإن كان قد رسم لنا معالم حاضرة ومستقبلية هامة، لعل من المناسب الحديث عن أبرزها..

إن الحدث قد كشف عن هشاشة الظروفات العلمانية واليسارية والقومية والانتهازية ، فهي أول انتخابات يشارك فيها أكثر من خمسين حزباً طرحت كل المناهج والرؤى المعاصرة فلا مكان للحجج القائلة بأن التيار الإسلامي قد مارس إرهاباً فكريأً أو حمل الناخبين قسراً على تبني الحل الإسلامي . ففي المثال الجزائري كان الشيوعيون المحظوظون يعرضون بضاعتهم المزاجة جنباً إلى جنب مع "حزب فرنسا" الذي يصبح بكل ما أوتي من صوت منادياً باستعمار الجزائر من جديد على يديه وفي حضور كل التيارات السياسية المعاصرة... والحق أن الإسلاميين كانوا القوة الوحيدة التي لم تكن تتكم على قوة خارجية أو دعم من خارج الحدود - كما كان وضع بقية صفوف الأحزاب السياسية - التي اكتشفت أنها ظل ثقيل "للآخر" الذي يضخمها بدعمه الخارجي .

إن الحدث بأطواره الأخيرة لا يمكن أن يفصل عن إطاره التاريخي والموضوعي والمنهجي.. فأحداث الجزائر ليست وليدة اللحظة ، ولم تنبت من فراغ ، فهي إفراز متوقع لحالة المواجهة الضارية التي خاضها المسلمون في هذا الصقع ، منذ نزول الصليبيين الفرنسيين قبل أكثر من قرنين ومحاولة هؤلاء سلب هذا الشعب العريق هويته العقدية والحضارية . وفي خضم هذا الصراع ظل

الإسلام وحملته هم ضمير الأمة وقادة الصفوف في ساعة الزلزلة ، منذ عبد القادر الجزائري ومروراً بزعماء جمعية العلماء (ابن باديس والإبراهيمي) وحتى امتدادهم المتمثل بجبهة الإنقاذ..

و قضية الإسلام كهوية وثقافة ومنهج تفرض نفسها من جديد بالرغم من محاولة العسكر (بعد الاستقلال) طمس هذه القضية أو تحجيمها من خلال تبني الظروفات السياسية والاشتراكية ، وإن كانت، ظروف بومدين وعصابته بالأمس قد أو هممتهم بالتلغلب على هذه الإشكالية ، فإن الواقع اليوم يؤكد أن قضايا الأمة الكبرى لا يحلها الإرهاب والسلط ، وأن المعضلات المتعلقة بالكيان الحضاري والصيغة العقدية ترفض أن تخضع لفوهة المدفع أو سلط الحذاء العسكري الثقيل ، إنها في جوهرها بالنسبة للمسلم اليوم الوجود أو الذوبان.. ومن هنا فإن التدخل العسكري الثالث للجيش بعد تدخل عام ١٩٨٨م ويونيو ١٩٩١م يواجه الإخفاق الذي واجهه في المحاولات السابقة، ويقابل بنفس الكراهية والاحتقار من قبل جماهير الجزائريين الذين أثبتوا في السابق أن الحلول المبتدة لا تؤدي إلا إلى نتائج عكسية .

إن أحداث الجزائر الأخيرة نزعت ورقة التوت الأخيرة عن الأصوات والتيارات والأحزاب والشخصيات المطلة عبر أجهزة التحقيق والإعلام في العالم العربي ، والتي تمسك بخطام التوجيه و زمام القيادة.. لقد كان رد فعلها غاية في التشنج وإيغالاً في ممارسة الإرهاب الفكري ، كما كان الطرح في مجمله يفضح إشكالية ما يسمى بالتيار التحديي والتوفيقى (حل وسط ومدهش يرمي إلى دمج الإسلام بالثقافة الغربية) وبعد هذا التيار عن أرضية المجتمع والأمة التي هي من المفترض أن يعبر عن تطلعها وأمالها . إن ما يكتب خلال هذه الفترة أبعد ما يكون عن الموضوعية وأقرب إلى شكل "الإسقاط" النفسي حيناً ومزج الخيال المحطم بالواقع الصارخ في وجوههم... حيناً آخر .

هدية لمكتبة شبكة مشكاة الإسلامية

والسؤال الحائر لا يزال يطرح بقوة : هل كان الغرب ومؤسساته الإعلامية أكثر اتزاناً من ظله العربي العلماني؟ ولعل استعراضاً لعنوانين الصحف والتحليلات العربية يؤكد هذه النظرية مضيفاً إلى هذا المنحى الخطر غثاثة سطحية واختزالاً ونقلأً "كربونياً" يدعى القارئ إلى العثيان! (وهي لازمة لعصر الإفلات الثقافي والإعلامي في العالم العربي اليوم) .

إن أحداث الجزائر كشفت عن "نسبة" جديدة لم تكن مكتشوفة إلى هذه الدرجة وعارية إلى هذا الحد.. ، فخلال أزمة الصيف التي كانت محاولة أخرى من محاولات العقلية البوليسية لمصادرنة الحل الإسلامي اتهمت جبهة الإنقاذ بأنها ضد الديمقراطية والاختيار الحر ، وأصبحت طروحات الجبهة تمثل لهؤلاء المرتجمين للسلط ، أما انتشار الجيش ومطاردته للمدنيين المسلمين فيمثل "قمة الحكم والضبط" .. فالأمر هنا نسبة.. فالدكتاتورية النزقة والتسلط المفزع تغدو "حكمة" و "حماية للديمقراطية" و "حراسة للدستور"!! ثم أنت الانتخابات ، ولأول مرة في التاريخ المعاصر تتهم الحكومة حزباً معارضًا بأنه زور الانتخابات . وبالرغم من عدم قدرة المجلس الدستوري على إثبات هذا الادعاء فإن الخيار الديمقراطي الذي دافعوا عنه قبل أيام يتحول بين عشية وضحاها إلى "كابوس" ؛ ومن خلال نسبة الثقافة هذه يطالب ابن فرنسا سعد سعدي أو مطاباً الماركسيين المفلسين باستخدام القوة لمنع "الخيار الديمقراطي" .. أو لم تقل اللوموند بالأمس : "الديمقراطية جميلة لكن الأصولية غير مرغوب فيها"!! إذن الإشكالية تكمن لدى الغربيين في أن الديمقراطية تستحق البكاء والعويل إذا دفعت إلى السلطة دمها المتعددة يساراً أو يميناً ، وتصبح كابوساً وديكتاتورية حين يكون المكون العقدي المخيف - الإسلام - قاب قوسين من استلام مقاليد الأمور . وهنا تكون الديكتاتورية العسكرية والتسلطية البوليسية قمة الحكم والحرية . فالمسألة نسبة لدى صليبيي اليوم وحزب النفاق المحلي !!

تردد أقلام النفاق المستتر والإعلام الوصولي مقوله يسارية صدئة خلاصتها أن انتخابات الجزائر أظهرت أن القضية الاقتصادية في أساسها وأن الجماهير تريد الخبز والكساء والحياة الرغيدة.. فقط لا غير.. !! ولكن السطحية والتناقض لا حد لها في خطاب "مترجمي الفكر" و"مجاري الظروف الغربية" ، وهم يلمزون الجبهة بأنها لا تملك برنامجاً اقتصادياً واضحاً ، وأنها لا تقدم البديل للجماهير.. ولذا فهي تلجاً لشعارات فضفاضة..

هذه "النظرية" التي اكتشفها بعض "المفكرين" و "المתרגمين" تنقصها الحبكة المسرحية اللازمه لتمرير مثل هذه النكتة الثقيلة الظل.. فالجميع يعرف أن الجبهة لا تستند لأي مجموعة اقتصادية أو دعم مالي خارجي مؤثر.. وأنها خاضت الانتخابات في مواجهة أحزاب تعد الناخب الجزائري بمساعدات خارجية وتطرح برامج اقتصادية تلائم طبع الدول العربية والشركات المتعددة الجنسيات كما تكرس ربط الجزائر بالسوق الدولي ودورته الاقتصادية ؛ إضافة إلى أن الغرب قد هب لمساعدة الحكم القائم بمئات الملايين من الدولارات لمواجهة خطر الأصوليين "في الوقت الذي لم تعد الجبهة بمساعدات دولية أو تعرض أرض الجزائر في مزاد "النخاسة" النفطي وهذا نجد أن من حقنا أن نطرح السؤال المنطقي التالي :

إذا كانت القضية تدور حول جوع الجماهير وتلبية رغبتها الاستهلاكية الملحة ، فلمن ستتصوت الجموع؟؟ لمجموعة سياسية لا تدعمها دول وقوى اقتصادية عظمى وتنتمي بأنها لا تملك برنامجاً اقتصادياً أو خبرة إدارية كافية. أم لأحزاب ومؤسسات وهيئات تلح في حملتها الانتخابية على أهمية التعاون والاندماج بالقوى الدولية المؤثرة ، وتعود الجماهير برفاهية اقتصادية وملء البطون وسد الحاجات الاستهلاكية؟!

والجواب المنطقي والواقعي هو أن الذين ينثرون الوعود والذين تتسابق القوى الإقليمية والدولية لدعمهم اقتصادياً هم الأحرى بتوجه الجماهير الجائعة المتطلعة إلى إشباع الغرائز إليهم ! لكن ، ماذا نرى ؟ نرى الجماهير المتحدث عنها هي التي لفظت هؤلاء المرتزقة والمرتشين والأذناب بعد أن عرفت أنهم سرقوا في فترة لا تزيد عن خمس سنوات أكثر من ثلاثين مليون دولار . كما أن هذه الجماهير المتغيرة ترى أن المعضلة الاقتصادية التي صنعتها النموذج العلماني /الاشتراكي هي في حقيقتها مرتبطة بإطار أكبر وواقع أشمل حكم البلد من خلال فلسفة مستوردة لا تصلح أرض الجزائر لاستنباتها ، بل حولت هذه الفلسفة أرض الجزائر - وهي الأرض المعطاء - إلى أرض بلقع بوار .

أثبتت أحداث الجزائر أن الخائفين من الحل الإسلامي ، المطاردين لدعاته يصابون بحالة من "الحول الحاد" يجعلهم يرون الشيء شيئاً ولونه ألواناً متداخلة والحقيقة زيفاً !! مما إن يفوز التيار الإسلامي في أي عملية انتخابية مثلاً حتى يخرجوا للجماهير مبررين هذا الفوز بأسباب أصبحت مموجة من سطحيتها وتكرارها

مثل : إن أعداداً كبيرة من الناخبين لم تصوت في الانتخابات..! فمن أدرك أن الذين لم يصوتو سيفوتون في قناة التيار اللاديني...؟! والقاعدة الفقهية تقول : لا ينسب إلى ساكت قول ! ويقولون بأن الإسلاميين يستغلون كل قواهم وقواعدهم في الانتخابات وهل في هذا الأمر حرج وهذا من قواعد اللعبة الديمقراطية المجلوبة والتي يكون فيها إجحاف بحق الناخب لا سيما في العالم المتخلف حيث إن المناوئين للحل الإسلامي اليوم يستفرون فئات لا تتعاطف معهم مستخدمين سيف المعز وذهبه.. وهذا كفيلان بترغيب وترهيب أعداد كبيرة لا تصوت عن قناعة؟؟

ثم أخبرونا أيها المتابكون على كل نصر للأصالة والعودة إلى الجذور.. كم يصوت في انتخابات أمريكا (النموذج الديمقراطي)..؟ أليسوا في حدود النصف إن لم يكن الرقم أقل من ذلك.. ثم يحكم الرئيس الأمريكي ويفوز بنصف أصوات الناخبين أي أنه يحكم بأصوات المؤيدين له وهم لا يتتجاوزون الرابع.. ثم تُدعى هذه الانتخابات بأنها أكثر الانتخابات الديمقراطية نزاهة وأرقى نماذج الحكم الذي توصلت له البشرية اليوم؟!

إن حالة "الحول المفاجيء" تصيب مرضها بمضاعفات خطيرة أبرزها "الانفصام النفسي" والتناقض المحجوج الذي لا شفاء منه إلا بالصدق والأمانة وهذا دواء يستعصي على من مرد على النفاق قوله .

تصور أن...

تصور أيها القارئ الكريم لو أن تسلسل الأحداث في الجزائر قد سار بطريقة مختلفة عما آل إليه الأمر.. وتصور لو أن المسار التصاعدي للتحولات الجزائرية قد انحرف إلى زاوية ترضي أهواء الغرب - لا سيما فرنسا وأمريكا - والنظام السياسي العربي القائم ، بقيادة أي اتجاه محارب للإسلام معاد لأصول الأمة ومعتقداتها.. ، قد تقول إن الشعب الجزائري قد أثبت بالدليل القاطع رفضه لكل "الجرائم الفكرية" ووقف في وجهها وقفه الرجل الواحد مرة بعد أخرى!! لكن دعنا نفترض مساراً آخر للحدث ، يرضي ولو آنياً خيال المنافقين والعلماء.

تصور أن "حسين آيت أحمد" في الجزائر قرر عقب السماح بتكوين الأحزاب أن يرشح نفسه للانتخابات البلدية في الجزائر.. وأنه - ويا للهول - قد حصد أكثر من ثمانين بالمئة من البلديات وأكثر من ستين بالمئة من أصوات الناخبين..!! ماذا ستكون افتتاحيات اللوموند والفيغارو والنيويورك تايمز وصحافة العرب المترجمة والمرتجفة من خصوم آيت أحمد ول يكن علي بلحاج أو

هدية لمكتبة شبكة مشكاة الإسلامية

عباسي مدني ، وكأني بها وقد حملت عناوين ضخمة أحدها بالخط العريض "الجزائريون يلقطون الظلام ويختررون الرجل المتحضر" ..!

تصور أن الرجل المتحضر الذي يحقد على الإسلام ويرفض التحدث بالعربية - لأنه متحضر فهو يتحدث بالفرنسية - قد أصبح الزعيم المرتقب للجزائر ، وعندما قرر الحزب الحاكم أن يقلم أظافره ويغير من قانون الانتخابات بحيث يحول دون انتصار كاسح للرجل "المتحضر" و"خياره العلماني" ... سيكون ملخص التعليقات والتحليلات شرقاً وغرباً : "مجربة الديموقراطية في الجزائر"! وتصور أن الرجل "المتحضر" قد قام بمقاومة هذا الظلم والحيف بأسلوب متحضر هو الآخر ونادى بالجزائريين المتعاطفين معه أن يقاوموا القانون الجائر بالتظاهرات السلمية في الساحات العامة منهاً لضرورة البعد عن استخدام العنف.. أخال أن الوكالات الدولية ستحمل الخبر الآتي "غاندي الجزائري.. ينادي بالثورة السلمية ضد الظلم"!!

تصور أن العسكر قد قرروا أن ينهوا ربيع الديموقراطية وذلك بافعال مواجهة مصطنعة مع الزعيم المتحضر وجماهيره المنضبطة وخلال هذه المواجهة تفصل السلطات جميع الرافضين للسلط و القهر ، كما تزعم أن آيت أحمد "وزبانيته" يخططون للانقلاب على السلطة وتعرض على وسائل الإعلام الدولية الأدلة الدامغة على ذلك .. (كما فعلت بعد مواجهتها مع جبهة الإنقاذ في الصيف الماضي) مقلمة أظافر.. وسكيناً لتقشير التفاح.. وحبلاء.. وزجاجة كوكاكولا فارغة!!!

ولم تجد السلطات العسكرية بدأ للحد من تزايد التعاطف مع الزعيم المتحضر حسين آيت أحمد سوى أن تعقله ونائه دون توجيه تهمة أو جنائية وتأمر الجيش بالنزول للشوارع وتلغي الانتخابات لأجل غير مسمى!! وهنا قد تتسارع الأحداث وتعلن فرنسا سحب سفيرها من الجزائر وتوقف تعاملها مع الجزائري.. أما بوش زعيم النظام الدولي الجديد فيعلن أن نظامه الجديد لن يسمح للدكتاتورية بالعيش.. أو أن يتحول بن جديد إلى صدام آخر يغتال الديموقراطية ، ويئذ الأحرار بلا سبب دستوري!! وهذا تجتمع الأمم المتحدة ليلاً مندوبي الدول المؤيدة للحرية خطباً عصماء تنادي بانتهاء عصر الظلم.. ويرسل عرفات برقة إلى بن جديد ينشده فيها باسم الكفاح المسلح أن ينهي مسلسل الإحباط ويفرج عن المناضلين الأبرار وفي مقدمتهم الأخ الفاضل.. حسين آيت أحمد!! تصور أيها الأخ العزيز أن قضية حسين آيت أحمد ستشغل الصحف الصفراء والخضراء والسوداء لأسابيع.. ويصبح هذا الرجل المناضل "مانديلا الجزائري" - لاحظ الرموز المقتبسة -.. وفي ظل الحملة الدولية والإقليمية يعلن الرئيس الجزائري بأن الزعيم المتحضر سيحاكم بعدلة وأنه قرر إجراء انتخابات عامة للخروج من المأزق، لكنه يعين أحد المتواطئين معه لتفصيل القانون الانتخابي على مقاس جبهة التحرير الحاكمة..، هنا ستوجه الأمم المتحدة (الأمريكية) تحذيراً أخيراً وتحرك القوى الخفية في داخل الجزائر تشتيت الذمم وتزرع العملاء.. ويعلن بن

جديد احترامه للدستور وأن حزب القوى الاشتراكية مدعو للاشتراك في الانتخابات القادمة . يحجم الحزب البربري وزعيمه المؤقت عن الاشتراك في الانتخابات التي سترحمله من فوز مؤكد وساحق.. وتدخل الأصوات الفرنسية والأمريكية والمحلية لإقناع الزعيم المتحضر ومناصريه بالاشتراك في هذه الحملة لإحراج السلطة ليس إلا..

تصور أن هذا الحزب المظلوم ، المقهور ، المطارد قد فاز بـ ١٨٩ مقعداً مقابل ٢٠ مقعداً لجبهة الإنقاذ و ١٥ مقعداً لجبهة التحرير هنا ساكتفي بعنوان واحد لصحيفة عربية أفردت ملحاً خاصاً من عشرين صفحة للحدث /القبلة ، عنونت له في صفحتها الأولى بعنوانين مثيرة منها:

"انتصار خيار المستقبل على المتاجرين بالدين"

"الجزائريون يختارون التحضر ويلقطون الأصوليين البرابرة!!!!"

"الأصوليون يندحرون في وجه الفوز الساحق للزعيم المتحضر".

المستقبل لمن؟

في يوم السبت السابع من رجب ١٤١٢ هـ الموافق ١٩٩٢/١/٢١٢ ظهر الرئيس الجزائري الشاذلي بن جيد على شاشة التلفزيون وألقى كلمة قصيرة أعلن فيها استقالته قائلاً : إنه قرر الاستقالة لكي لا يصبح عقبة تعرقل التفكير في حل يحفظ الوحدة الوطنية. وقال أيضاً: إن انسحابه ليس تهرباً من المسؤولية، بل وطلب من الجزائريين أن يعتبروا ذلك تضحيه . إن أخطر ما قاله هو أنه قرر الاستقالة لكي لا يصبح عقبة تعرقل التفكير في حل يحفظ الوحدة الوطنية !!! فمن الذي يهدد الوحدة الوطنية؟ ومن الذي يفكر في حل يصرح الرئيس المستقيل أنه عقبة تعرقل هذا الحل؟ لا أظن أن الإجابة على هذه التساؤلات تحتاج إلى عناء كبير ، فإن الأمر الذي أشغل الساحة الجزائرية بل والعربية والعالمية هو فوز جبهة الإنقاذ الإسلامية في الانتخابات الجزائرية فوزاً ساحقاً يعبر بوضوح عن حالة جديدة تمر بها هذه الأمة للخروج من حالة الضياع والتشريد الذي تعيشه ، وعلى الرغم من أن الأحداث في الجزائر تمر بمرحلة انتقالية يصعب التكهن بنتائجها ، فإنه يجب على كل مسلم أن يعيش مع إخوانه في آمالهم وألامهم وتجاربهم ، وألا يدخل عليهم بما يستطيع من دعوة صالحة في ظهر الغيب ، ونصيحة مشفقة خالصة مع دعمهم بكل ما يستطيع . ومساهمة في هذا السبيل نقدم هذه القراءة المتواضعة في أحداث الجزائر لعلها تكون عوناً على فهم الحاضر والتعامل مع المستقبل .

وجيز الأحداث :

في الأول من نوفمبر ١٩٥٤ أعلن حزب جبهة التحرير الوطني ميثاقه ومما جاء في ذلك الإعلان : استعادة دولة جزائرية ذات سيادة ديموقراطية واجتماعية في نطاق المبادئ الإسلامية . وقامت حرب التحرير على أساس إسلامي شديد الوضوح ، وقدم الجزائريون التضحيات العظيمة من أجل استعادة إسلامهم وعروبتهم ، حتى سميت الجزائر بلد المليون شهيد ، ولكن ما إن تم التحرير ، وخرج المستعمر ؛ حتى تربع على السلطة من سرق ثمرة الجهاد ، فكافأ رجاله بفتح المعقلات والسجون لمن؟ لعلماء الاستعمار؟ لا ، بل للدعاة المخلصين الذين لهم الدور الأكبر في مواجهة المستعمر ، وقام (بن بلا) ومن بعده (بومدين) بفرض النهج الاشتراكي ، وأقاموا دولة بوليسية قائمة على الكبت والاضطهاد ، مع ما صاحب ذلك من عمليات سلب لثروات الأمة .

وفي عهد (بن جيد) الذي خلف (بومدين) لم يتغير شيء سوى ازدياد عمليات النهب المنظمة للثروة ، أو عجز الحكومة ، أو قل : عدم اهتمامها بتقديم الخدمات الأساسية للشعب المطحون ، فحصلت أحداث شغب في يونيyo (حزيران) ١٩٨٨ م مما أوقع مئات القتلى ، واتضح فشل النظام وترهله مما أرغمه على اللعب بورقة التعذيبة الحزبية ، وسياسة الانفتاح والحرية ، وفتح المجال لتكوين الأحزاب ، ولم تعد جبهة التحرير متفردة بالساحة السياسية ، فقد تم تسجيل حوالي ٥٥٨ حزباً تراوحت بين إسلامية من طرف وإلحادية من طرف آخر وكثير من الالتفاتات المتنوعة في الوسط ، مما يدل على شراسة الهجوم الفكري الذي تعرض له هذا الشعب المسلم ، ومن هذه الأحزاب :

١ - جبهة الإنقاذ الإسلامية تم إعلانها رسمياً في مطلع ١٩٨٩ م وذلك بمبادرة من عدد من الدعاة من بينهم رئيس الجبهة الشيخ عباسي مدني ، ونائبه الشيخ علي بلحاج وللجبهة مجلس شورى يتكون من ٦٠ عضواً .

هدية لمكتبة شبكة مشكاة الإسلامية

- ٢- حركة المجتمع الإسلامي (حماس) وتم إعلانها في ديسمبر ١٩٩٠ م على يد الشيخ محفوظ النحناح .
- ٣- حركة النهضة الإسلامية : قام بإعلانها الشيخ عبد الله جاب الله .
- ٤- حزب الأمة : أسسه يوسف بن خده رئيس الوزراء سابقاً ، وهو يؤكد على الأهداف الإسلامية والعربية .
- ٥- حزب القوى الاشتراكية : (FFS) قام بتأسيسه حسين آيت أحمد عام ١٩٨٩ م . ويدعو إلى ضرورة فصل الدين عن الدولة ، وتبني التعددية اللغوية والثقافية بين عربية وبربرية وفرنسية (علماني بربري فرانكوفوني) .
- ٦- التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية : أسسه الدكتور سعيد سعدي وهو حزب بريري شبيه بالحزب السابق .
- ٧- الحركة من أجل الديمقراطية : أسسه أحمد بن بلا الرئيس السابق .
- ٨- حزب العدالة والإصلاح : أسسه قاصدي مرباح رئيس الحكومة السابق بعد خروجه من جبهة التحرير .
- ٩- حزب الطليعة الجزائرية (الحزب الشيوعي)
- ١٠- حزب التجديد الجزائري .
- ١١- الحزب الوطني للتضامن الإسلامي .
- ١٢- حزب التجمع الجزائري اليمديني الإسلامي .
- ١٣- الحركة الجزائرية من أجل العدالة والتنمية .
- وغيرها بالإضافة إلى جبهة التحرير الوطني التي حكمت الجزائر لمدة ثلاثين سنة متواصلة .

انتخابات الجزائر ، حقائق وأرقام :

جرت الانتخابات يوم الخميس ٢٦/١٢/١٩٩١ وقد بلغت نسبة التصويت ٥٥٨٪ من أصل ١٢,٢ مليون ناخب . وبلغت الأصوات الباطلة حوالي ١٠٪ وأعلن وزير الداخلية عن عدم وصول ما يقارب من مليون بطاقة انتخابية إلى أصحابها ، وقد بلغ عدد الذين أدروا بأصواتهم حوالي ٧ مليون ٧٠٠ ألف وهي نسبة كبيرة إذا ما قورنت بنسبة المشاركة في الدول الغربية ، أما نتائج الانتخابات فقد كانت صدمة لمن أجروها ولمن أعلنوها ، وتبينت ردود الفعل فقد كانت الصدمة بادية على محي وزير الداخلية وهو يعلن الفوز الكاسح لجبهة الإنقاذ ، كان متعملاً وهو يقرأ النتائج بصوت متهدج ، أما رئيس الوزراء فقد حل ضيفاً على القناة الثانية في التلفزيون الفرنسي ، وقد كان شاحباً وحزيناً متلعثماً وكان يبدو تحت وقع الصدمة (١) .

وخلالاً للتوقعات التي كانت تنتظر أن تكون النسب على الشكل التالي :

- * ١٥٠ مقعداً لجبهة الإسلامية .
- * ١٢٠ مقعداً لجبهة التحرير .
- * ٧٠ مقعداً لجبهة القوى الاشتراكية .
- * ٤٠ - ٥٠ مقعداً للتجمع من أجل الثقافة والديمقراطية .
- * ٤٠ مقعداً للأحزاب الأخرى والمستقلين .

فقد جاءت النتائج على النحو التالي :

لقد شارك ٤٩ حزباً من أصل ٥٨ فازت جبهة الإنقاذ بـ ١٨٨ مقعداً من أصل ٢٢٨ وحلت جبهة القوى الاشتراكية في المركز الثاني بحصولها على ٢٧ مقعداً ، أما جبهة التحرير الوطني فقد جاءت في المرتبة الأخيرة وحصلت على ١٦ مقعداً فقط ، والمستقلون حصلوا على ٣ مقاعد .

هدية لمكتبة شبكة مشكاة الإسلامية

كانت ردود الفعل متباعدة ، ويمكن معرفة ردود الفعل الرسمية غير المعلنة عن طريق متابعة وسائل الإعلام ، وهذه أهم ملامح التوجهات الإعلامية في تلك الفترة :

* في اليوم الأول الذي أعلن فيه الفوز الساحق لجبهة الإنقاذ بأكثرية الأصوات لم تنشر جل الصحف إلى ذلك، مع أن وكالات الأنباء نقلت هذا الفوز الكبير . وبعد أن أفاقوا من الصدمة بدأت مرحلة التهويين من الانتصار وتحليل أسباب انتصار الجبهة ، وحيث أن حكم الإسلام غير مطروح فقد كثرت التحليلات لكيفية الخروج من هذا المأزق وإليك بعضها :

١- التركيز على أن التصويت للجبهة كان بسبب كراهية الناس لجبهة التحرير ، وليس حباً في جبهة الإنقاذ أو كما يتولون : "ليس حباً في زيد لكن كراهية في عمرو" وكان الجبهة الإسلامية هي الحزب الوحيد بجانب جبهة التحرير .

٢ - تبنوا طروحات الأحزاب العلمانية الجزائرية الخاسرة وادعوا أن الانتخابات فيها الكثير من التجاوزات من جانب جبهة الإنقاذ ، بل وقدمت طعون كثيرة بصورة مبالغ فيها حيث بلغت ٣٤١ طعناً قدمت فيها جبهة التحرير ١٧٤ طعناً ، وهولوا من خطورة هذه الطعون على مستقبل الجبهة حيث ستفقدأغلبية المقاعد التي حصلت عليها ، ولكن المجلس الدستوري رفض هذه الطعون وكان على وشك إعلان ذلك ومنعه من ذلك الأحداث اللاحقة .

٣- أكثروا من الكلام حول امتناع حوالي نصف الناخبين عن المشاركة وأنهم ضد الجبهة ، وأن الفرصة سانحة لتعديل النتيجة في الدور الثاني ، ولكن هذا التحليل تهافت سريعاً ، حيث بدأت الأحزاب العلمانية تحذر من الخطر على الديمقراطية عندما تحكم جبهة الإنقاذ ، وطالب بعض الديمقراطيين بالغاء الانتخابات .

٤- وفي النهاية تعلقوا بالأمل الأخير لحماية الديمقراطية والحفاظ على الدستور وهو الجيش الذي تتجاذبه النزعات الفرنسية والأمريكية .

٥- ولقوة هذا الخيار فقد بدأوا بالكلام عن السيناريو والإخراج لهذا الترتيب ، حيث تحدثوا عن خلاف بين بن جديد والجيش واحتمال استقالة بن جديد ، وذلك بعد فشل الأحزاب العلمانية في محاولة جر الجبهة للاصطدام بها ، ليكون ذلك ذريعة لتدخل الجيش بدعوى حفظ النظام .

أما مراسل هيئة الإذاعة البريطانية فقد قال في سلسلة أحاديثه (الجزائر عشية أول انتخابات حرة) إن رئيس الوزراء هو مرشح الجيش لتشكيل حكومة ائتلاف ديمقراطي بعد الانتخابات ، وفي الحلقة الثانية شكّ بقبول جبهة الإنقاذ لقواعد اللعبة الديمقراطية ، وفي الحلقة الرابعة تحدث عن الجماعات الإسلامية وأشاع دعاوى كاذبة حول إهدار الإنقاذ لدم محفوظ النحناح . وفي الحلقة الخامسة تحدث عن آيت أحمد المتفرنس البربرى وعن تكتيكه الجديد وكيف أن مرشحه صاروا يستعملون العربية الفصحى .

أما موقف الإعلام في شمال أفريقيا فهو كما يلي :

* بعد ظهور نتائج الانتخابات بدأت الصحافة الجزائرية الناطقة بالفرنسية وأجهزة الإعلام الأخرى التي يسيطر عليها الشيوعيون ؛ بدأوا بحملة ضارية ضد الجبهة وتخويف الناس من مستقبلهم إذا اختاروا الجبهة ، أما في المغرب فقد التزمت الصحف الرسمية الصمت في البداية ، مما يوحي بأنها لا تزيد تحديد موقف متسرع وأن الأمر متعلق بأمور داخلية ، ثم تحول الأمر إلى هجوم على الأصولية .

* وفي تونس كانت الانتخابات محل اهتمام كبير لدى الأوساط السياسية والرسمية حيث جاءت النتائج مخالفة لما توقعه من فوز جبهة التحرير ، وأبدت تلك الأوساط قلقاً صريحاً من فوز الإسلاميين في الجزائر .

هدية لمكتبة شبكة مشكاة الإسلامية

* وفي مصر عكست الصحافة الفلق من هذه التطورات وأهمية اتخاذ المثال المصري للديموقراطية القائم على خنق الأفكار الإسلامية والسماح بأحزاب تحدها السلطة سلفاً . أما وسائل الإعلام الغربية فإنها منذ بدء الانتخابات وهي تهول وتحذر من المد الأصولي القادر الذي سيخرق البناء الجزائري ، وسيعيد البلد إلى عصور التأثر ، ولمحت بعض الصحف من جانب آخر إلى أن وصول الإسلاميين ربما يجعلهم يهتمون بالسلاح النووي ، وفي برنامج أسبوعيات الصحفة البريطانية ، الذي أذيع في يوم الجمعة ٢٨/٦/١٤١٢ هـ (١٩٩٢/١/٣) نقل البرنامج العديد من وجهات النظر البريطانية المتشنجة وفيها صحيفة (اليوربيان) التي أسسها اليهودي "ماكسويل" ، التي نشرت تحليلاً يثير الخوف والهلع من استلام الإسلاميين ، وقالت بأن الجيش سيتولى الحكم وسيحكم مجلس مكون من جنرالين ورائد وهم وزير الدفاع وزیر الداخلية ورئيس الشرطة السرية حتى لا يتمكن الإسلاميون من الحكم .

أما (الإيكونومست) فقالت بأن الجزائريين لن يصمتوا حيال حكم مستبد بدل حكم مستبد سابق . أما فرنسا فقد تعاملت في البداية بحذر يعكسه ما نسب إلى الأمين العام لوزارة الخارجية حين قال : "إن بلاده تعتبر ما تشهده الجزائر قضية داخلية فرنسية نظراً لامتداداتها داخل فرنسا ، وأضاف بأن علاقاتنا بالجزائر ثابتة لا تتأثر بعوامل ظرفية مؤقتة" . ويوضح الخلاف الحاصل في الوقت الحاضر بين فرنسا والحكومة الانقلابية تحس فرنسا من عدم ثبات النظام الجديد ، وبالتالي لا تزيد التورط معه في علاقة تؤثر على مستقبل العلاقات ، وقد يكون الانقلاب أمريكاً يقصد منه إبعاد الإسلاميين وأيضاً النفوذ الفرنسي ، ولا ننسى انقلاب عبد الناصر الأمريكي على النفوذ البريطاني في مصر .

الموقف الإيراني :

كانت السياسة الخارجية الإيرانية ناجحة كعادتها في محاولة توظيف الأحداث التي تحدث في العالم الإسلامي لصالحها ، وقد استفادت إيران كثيراً من قضية سلمان رشدي رغم أنها ركبت هذه الموجة متأخرة ، وكانت الرابع الأكبر من حرب الخليج وتحطيم العراق ، وهذا هي تستفيد مما يعانيه السودان من ضيق اقتصادي ، وهي الآن تحاول الاستفادة من أحداث الجزائر وتوظيفها لصالح النفوذ المتزايد لشيعة إيران ، حيث تظهر بمظهر الحكومة الوحيدة التي تتبنى التحولات الحاصلة نحو الإسلام . مع أنهم في الحقيقة لا يحبذون قيام حكومة سنية في الجزائر كشأنهم مع أفغانستان ، ولكنه موقف سياسي ، وقد وقع ١٧٠ نائباً إيرانياً رسالة أوضحا فيها دعمهم الكامل للشعب الجزائري ، ولذلك وصلت الأمور بين البلدين إلى سحب الجزائر سفيرها في طهران ، ولا يسعنا هنا إلا أن نقول للإخوة في جبهة الإنقاذ : حذار من إيران .

جبهة الإنقاذ بعد الانقلاب :

من المؤكد أن ما جرى كان احتمالاً وارداً ، ولكن الجبهة استفادت من الخيار المطروح لثبتت للعالم أن الشعوب تريد الإسلام ، وأيضاً تزيد إخراج أدعياء الديموقراطية في كل مكان وبالتالي كان تعاملها مع النظام الجديد بحكمة ، فقد حرصوا على أن لا يُجرّوا بالاستفزاز حين بدأ النظام بحملة اعتقالات القصد منها استفزاز الجبهة لردة فعل تكون مبرراً لضربة عنيفة ، وقد توجت هذه الحملة باعتقال الشيخ عبد القادر حشاني الرئيس المؤقت للجبهة يوم الأربعاء ١٨ رجب ١٤١٢ هـ (١٩٩٢/١/٢٢) بتهمة تحريض الجيش على التمرد ، وكانت هيئة الإذاعة البريطانية قد أجرت مقابلة معه قبل اعتقاله بقليل أوضح فيها أن الجبهة لن تتخلى عن اختيار الشعب لها . وإننا نرجو الله سبحانه وتعالى- أن ينصر عباده المخلصين وأن تصمد الجبهة أمام هذه الهجمة ، وأن تستمر متماسكة وتعود أقوى مما كانت ، وإننا على ثقة بنصر الله ، والله غالب على أمره ، ولا ننسى قوله تعالى :

((يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمٌ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ..)).
الهــامش:

١- الأسبوع العربي ١ / ٦ / ١٩٩٢

كتب

أقوال العلماء في كتاب: إحياء علوم الدين

اختيار: أم قتبية

إن كتاب إحياء علوم الدين للشيخ أبي حامد الغزالى المتوفى سنة (٥٠٥ هـ) رحمه الله وعفا عنه ، وهو كتاب عرفه العامة و المثقفون والعلماء والجاهلون ، وقد كثرت فيه أقوال العلماء سلباً وإيجاباً ، وقيل عنه بأنه يحتوي على أحاديث وآثار ضعيفة بل موضوعة كثيرة ، وفيه أشياء من أغاليط الصوفية وترهاتهم ، وقد رأيت أن أورد أقوال بعض العلماء في هذا ، الكتاب:

١- الذهبي :

قال في "سير أعلام النبلاء"(١) :

"أما "الإحياء" فيه من الأحاديث الباطلة جملة ، وفيه خير كثير ، لو لا ما فيه من آداب ورسوم وزهد من طرائق الحكماء ومنحر في الصوفية ، نسأل الله علماً نافعاً ، تدرى ما العلم النافع ؟ هو ما نزل به القرآن ، وفسره الرسول صلى الله عليه وسلم - قوله وفعلاً..."
إلى أن قال معرضاً :

"وإياك وآراء عباد الفلاسفة ، ووظائف أهل الرياضيات ، وجوع الرهبان ، وخطاب طيش أصحاب الخلوات ، فكل الخير في متابعة الحنفية السمية ، فواغوثاه بالله ، اللهم اهدنا إلى صراطك المستقيم"

٢- ابن كثير:

قال في "البداية والنهاية"(٢) عن الغزالى :

"وصنف في هذه المدة كتابه "إحياء علوم الدين" وهو كتاب عجيب ، يشتمل على علوم كثيرة من الشرعيات ، وممزوج بأشياء لطيفة من التصوّف وأعمال القلوب ، لكن فيه أحاديث كثيرة غرائب ، ومنكرات ، ومواضيعات ، كما يوجد في غيره من كتب الفروع التي يستدل بها على الحلال والحرام ، فالكتاب الموضوع للرقائق والترغيب والترهيب أسهل أمراً من غيره .

وقد شنّع عليه أبو الفرج ابن الجوزي ، ثم ابن الصلاح ، في ذلك تشنيعاً كثيراً ، وأراد المازري أن يحرق كتابه "إحياء علوم الدين" وكذلك غيره من المغاربة ، وقالوا ، : هذا كتاب إحياء علوم دينه ، وأما ديننا ، فإحياء علومه كتاب الله وسنة رسوله ، كما قد حكى ذلك في ترجمة من "الطبقات" ولقد زيف ابن شكر مواضع "إحياء علوم الدين". وبين زيفها في مصنف مفيض ، وقد كان الغزالى يقول : أنا مُزْجى البضاعة في الحديث ..".

٣- ابن تيمية :

قال في "درء تعارض العقل والنقل"(٣)

هديّة لمكتبة شبكة مشكاة الإسلامية

"ذكر أبو حامد في كتاب الإحياء كلاماً طويلاً في علم الظاهر والباطن ، قال : "وذهب طائفة إلى التأويل فيما يتعلق بصفات الله تعالى ، وتركوا ما يتعلق بالأخرة على ظواهره ، ومنعوا التأويل ، وهم الأشعرية - أي متأخرون لهم المواقفون لصاحب "الإرشاد" - قال : وزاد المعتزلة عليهم حتى ألووا كونه سميّاً بصيراً والرؤيا والمراج و أنه لم يكن بالجسد، وألووا عذاب القبر والميزان والصراط، وجملة من أحكام الآخرة، ولكن أقرّوا بحشر الأجساد والجنة ، واشتمالها على المأكولات"

قلت - أي ابن تيمية - ، : تأويل الميزان والصراط ، وعذاب بالقبر ، والسمع والبصر ، إنما هو قول البغداديين من المعتزلة دون البصرية .

قال أبو حامد : وبترقيقهم إلى هذا الحد زاد الفلسفه ، فألووا كل ما ورد في الآخرة إلى أمور عقلية روحانية ولذات عقلية .

إلى أن قال : "وهو لا هم المسرفون في التأويل ، وحد الاقتصاد بين هذا وهذا دقيق غامض لا يطلع عليه - إلا الموقفون ، الذين يدركون الأمور بنور إلهي لا بالسماع ، ثم إذا اكتشفت لهم أسرار الأمور على ما هم عليه ، ونظروا إلى السمع والألفاظ الواردة فيه ، فما وافق ما شاهدوه بنور اليقين قرروه ، وما خالف أولوه ، فأما من يأخذ هذه الأمور كلها من السمع ، فلا يستقر له قدم" .

قلت - أي ابن تيمية - : هذا الكلام مضمونه أنه لا يستفاد من خبر الرسول صلى الله عليه وسلم شيء من الأمور العلمية ، بل إنما يدرك ذلك كل إنسان بما حصل له من المشاهدة والنور والمكاشفة . وهذا أن أصلان للإلحاح فإن كل ذي مكاشفة إن لم يزنهما بالكتاب والسنة وإلا دخل في الصلالات" .

وقال رحمة الله في "مجموع الفتاوى"(٤) في معرض كلامه في الصفات والأسماء ونقشه كلام الفلسفه :

"أبو حامد في "الإحياء" ذكر قول هؤلاء المتأولين من الفلسفه وقال : إنهم أسرفوا في التأويل ، وأسرفت الحنابلة في الجمود ، وذكر عن أحمد بن حنبل كلاماً لم يقله أحد ، فإنه لم يكن يعرف ما قاله أحد ، ولا ما قاله غيره من السلف في هذا الباب ، ولا ما جاء به القرآن والحديث ، وقد سمع مضافاً إلى الحنابلة ما يقوله طائفة منهم ، ومن غيرهم من المالكية والشافعية ، وغيرهم من الحرف والصوت . وبعض الصفات مثل قولهم : إن الأصوات المسموعة من القراء قديمة أزلية ، وإن الحروف المتعاقبة قديمة الأعيان ، وأنه ينزل إلى سماء الدنيا ويخلو منه العرش ، حتى يبقى بعض المخلوقات فوقه ، وبعضاها تحته ، إلى غير ذلك من المنكرات . فإنه ما من طائفة إلا وفي بعضهم من يقول أقوالاً ظاهرة الفساد ، وهي التي يحفظها من ينفر عنهم ، ويشنع بها عليهم ، وإن كان أكثرهم ينكرها ويدفعها ، كما في هذه المسائل المنكرة التي يقولها بعض أصحاب أحد ومالك والشافعى ، فإن جماهير هذه الطوائف ينكرها ، وأحمد وجمهور أصحابه منكرهن لها .

٤- ابن الجوزي :

قال في "تلبيس إبليس":(٥)

وجاء حامد الغزالى فصنف لهم كتاب "الإحياء" على طريقة القوم ، وملاه بالأحاديث الباطلة وهو لا يعلم بطلانها ، وتكلم في علم المكاشفة ، وخرج عن قانون الفقه ، قال : إن المراد بالكوكب والشمس والقمر اللواتي رأهن إبراهيم صلوات الله عليه- أنوار هي حُجُبٌ -عز وجل- ، ولم يرد هذه المعروفات ! وهذا من جنس كلام الباطنية !

وقال في (منهاج القاصدين) (٦)

واعلم أن في كتاب "الإحياء" آفات لا يعلمها إلا العلماء ، وأقلها الأحاديث الباطلة الموضعية ، والموقوفة وقد جعلها مرفوعة ، وإنما نقلها كما اقتراها لا أنه افتراها ، ولا ينبغي التعبد بحديث موضوع ، والاغترار بلفظ مصنوع .

٥- محمد ناصر الدين الألباني :

قال في "سلسلة الأحاديث الضعيفة"(٧):

"وكم في كتاب "الإحياء" من أحاديث جزم بنسبتها إلى النبي صلى الله عليه وسلم- وهي مما يقول الحافظ العراقي وغيره فيها : لا أصل له".

الهامش :

٣٣٩/١٩ - ١

١٨٠/١٢ - ٢

٣٤٧/٥ - ٣

٣٦٢/١٧ - ٤

١٨٦ - ٥

٦- المختصر ص ٣

١٨/١ - ٧

الانصهار في حماة التهلكة

د. عبد الله عمر سلطان

ما من يوم تطلع فيه الشمس ، إلا يزداد اليقين بأن هذه الأمة أُتتت من مقتل ، وجوبه من جهة ضعف ، وتخاذلت عن صيحات التحذير ، وأيات النذير... ، فالقرآن الكريم ، منهجه الذي يجب أن تتحاكم إليه ، مليء بأخبار المهالك ، والفتن وأسبابها ، والسنة الكريمة أُتت محذرة من الوهن وأسبابه ، والضمور ومقدماته.. والإخلاد للدنيا والانغماس في حماتها كان في معظم الأطوار البشرية نتيجة لتمكن أمة وعلو كعبها و شأنها.. حتى إذا فرحت بما نالت وظفرت ، كان ذلك سبب زوالها وحقها...

أما أمتنا اليوم ، التي تفجر من تحت أقدامها خزائن الأرض فإنها حرق كل مراحل النصر والتمكين واكتفت بالنعيم ، كما ينقلب السفيه الأحمق في مال موروث لم يبذل فيه عرقاً ولا أنفق فيه جهداً أو كدحاً.

نحن أمة عالة على ثروتها ، وثروتها - ويا لل بشاعة - خنجر يوجه إلى صدرها لإغراقها في التافه والسطحية والهامشي حتى فقدت كل أسباب المنعة والقوة ، وبدلاً من أن تكون هذه النعمة الموهوبة أداة بناء ، كانت أداء هدم ، وبدلاً من أن ترقى إلى وسيلة تمكين ، صارت قنطرة انكسار متثال .

نحن أمة حتى قرن مضى ، كانت تعيش التكافل وتشعر بأحساس الجسد الواحد.. ، وما إن انقلب أعضاؤها في عصر الانحطاط إلى قبائل تسمى دولاً ، وعشائر تملك مقعداً في الأمم المتحدة ، حتى غُذى لدى الأغنياء شعور العزة والأفة انطلاقاً من الثروة الزائلة ، وغرس في يقين الضعفاء هذا الحقد المريع على إخوانهم الميسورين لكونهم ميسورين... أصبح الغني لا يعرف قيمة سوى للدرهم والدينار... والفقير لا يلهم سوى من أجل ذلك البريق... بل وفي غفلة وجهل رضينا أن صارت

هدية لمكتبة شبكة مشكاة الإسلامية

دنا نيرنا ودرأهمنا أوراقاً خضراء نش علىها الطاغوت الأمريكي عبارته الكاذبة "بإله نحن نثق In God We Trust" وأصبحنا لا نثق إلا بهذه الورقة القادمة عبر البحار... أليست التهلكة... كما رواها لنا أبو أيوب... حينما حمل رجل من المسلمين على الروم "فقال الناس : مه مه ، لا إله إلا الله ، يلقي بأيديه إلى التهلكة ! فقال أبو أيوب الأنباري : إنما تأولون هذه الآية هكذا أن حمل رجل يقاتل يلتمس الشهادة، أو يبلى من نفسه ؟! إنما نزلت هذه الآية فيما عشر الأنصار ، فلما نصر الله نبيه وأظهر الإسلام قلنا: هلم نقيم في أحوالنا ونصلحها، فأنزل الله تعالى: ((وَانْفُقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْهِكُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلِكَةِ)) فبالإلقاء بالأيدي إلى التهلكة أن نقيم في أحوالنا ونصلحها دون الجهاد ، قال أبو عمران : - راوي الحديث - فلم يزل أبو أيوب يجاهد في سبيل الله حتى دفن بالقدسية . التهلكة الإقامة والتركيز على مظاهر الزينة المنفحة ، وترك رسالة الله في الأرض وحملتها يلاقون أبغض عصور السحق والاضطهاد .

التهلكة أن ترسم لنا جامعة ستانفورد "خطط التنمية" كما حصل في بعض الدول العربية ، ومن ثم تضع وزارات التخطيط زوراً اسمها على هذه الخطط... التهلكة أن تهجم الأمة بلا ضابط ولا رادع نحو بيع العينة والأخذ بأذناب البقر ، والرضا بالزرع ، وترك الجهاد .

التهلكة أن تصبح أمتنا نهباً للأعداء وعملائهم من البيادق المحلية الذين سقوا أمتنا المر والعلقم ، حتى أصبحنا كالقصعة تماماً والتي يحيط بها الواهنة من غثاء الأمم .

التهلكة أن تتحول آلاء الله ونعمه إلى وسيلة انتشار بطيء نتجر عنه بحبور وننتظر مزيداً منه في مرحلة الغيبة التي لا بد أن تنجل !!

منتدي القراء محمد خير البشر

عبد الجبار الطعمة

محمد خير البشر حمد نور ظهر
به استنارت أرضنا والظلم قد ولى وفر
هو النبي المرتجل يشفع من هول سقر
ميلاده نبراسنا سيرته خير السير
طاعته واجبناه ومن أطاع قد ظفر
جبريل قد لقناه بالله آيات السور
فيه النواهي والنذر أنزل دستور لنا
مرروا ولم يبق أثر فيه أحاديث الأنبياء
معجزة ظاهرة على المدى لا تندثر
هزت قريشاً آياته فأيقنت صدق الخبر
لانت وكانت قبلاته قلوبها مثل الحجر
سبحان من غيرها من بعد غي وبطر
فاخرت كل البشر به استعادت عزها
وجاهدت بسيفها لم تخش في الله خطر

هدية لمكتبة شبكة مشكاة الإسلامية

حولها الله من الـ ضعف ومن عيش كدر
إلى ليوث حـرة أبت معاناة الضرر
فازت بجنت العـلا عند ملـك مقتـدر
مقعد صدق لم يـذر بـخلـد ولا عـبر
قد نـبذوا فـانيـة حـفت بهـول وـخـطر
إـبليس قد زـيـنـهـا وهي عـجوز ذات شـر
تـبرـز لـطـالـب فـي أـبـلـغ زـيـ مـعـتـبر
كم أـهـلـكـت من بـشـر أـرـدـتـهـم وـسـطـ سـقـر
لـكـن عـبـادـ اللـهـ لـم يـصـبـهـمـ مـنـهـا شـرـر
فـضـلـ منـ اللـهـ لـمـنـ حـبـاهـ لـطـفـاـ فـغـرـ
فـلـيـغـفـرـ اللـهـ لـنـاـ فـهـوـ العـفـوـ المـقـتـدر

استثمار المواقف

خالد السبيعي

أورد ابن حجر (في الميزان) قصة عجيبة ، ذكرها أبو محمد بن حزم لعبد الله بن محمد بن العربي ، والد القاضي أبي بكر ، "أنه - أي ابن حزم - شهد جنازة ، فدخل المسجد فجلس ، قبل أن يصل إلى ، فقيل له ، قم فصل تحية المسجد ، فعل ، ثم حضر أخرى فبدأ الصلاة ، فقيل له : اجلس ليس هذا وقت صلاة ، وكان بعد العصر : فحصل له خزي ، فقال للذى ربه : دلني على دار الفقيه ، فقصده وقرأ عليه الموطا ، ثم جد في طلب العلم بعد ذلك".

لقد أجاد أبو محمد كما رأينا في التعامل مع هذا الموقف ، وحوله من خسارة إلى مكسب ، إن هذه القضية نموذج ساطع لفن التعامل مع الموقف واستثمارها .

ولا نستطيع في - الواقع - الاستمرار في الحديث عن الموقف واستثماره دون وضع تعريف محدد للمقصود به هنا ، فال موقف إذا : "هو كل ما يتعرض له الفرد من أحداث ، ويطلب منه اتخاذ قرار ، إيجابي أو سلبي ، تجاه هذه الأحداث ، ويكون له القدرة على اتخاذه" وبعبارة أخرى ، فالحياة : مجموعة مواقف .

إن استثمار المواقف يحتاج إلى منهج واضح ، لعلنا في هذه العجلة نلقي ضوءاً على بعض أساسه ، إن المبادئ (العقائد) التي يحملها الفرد ، والقيم التي تحكم تصرفاته ، والطابع الشخصية المحركة لدوافعه ، تمثل الأساس الداخلية التي يقوم عليها منهج الاستثمار المتوازن للمواقف ، فضعف الإيمان بالبدا - مثلاً - أو قوته ومدى سلبيته أو إيجابيته ، ونتائج التخلی عنه تحدد مدى قوة تأثير العامل . كما أن هناك مؤثرات أخرى (خارجية) ، كالبيئة التي يعيش فيها الفرد والأصدقاء المقربين له ، والضغوط التي يتعرض لها سواء كانت اجتماعية أو اقتصادية أو فكرية وغيرها كثير ، وسيكون استعراضنا هنا لأثر الأساس أو العوامل الداخلية (الفردية) وذلك لأنها المحدد النهائي لمدى الاستجابة (الاستثمار) وكيفيته .

فالآنفة - على سبيل المثال - طبع شخصي عند ابن حزم ، دفعته إلى تصحيح وضع خاطئ (جهل المرء بدينه) بإيجابية ملهمة - كما رأينا سابقاً ، وجعلته فيما بعد من يشار إليهم بالبنان . والتعصب الأعمى للقبيلة . وكل تعصب أعمى - من القيم الجاهلية المعروفة إلا أن أثرها كما سيظهر في القصة التالية خطير وأي خير .

هدية لمكتبة شبكة مشكاة الإسلامية

فقد أورد ابن كثير في (البداية والنهاية) رواية للبيهقي جاء فيها أن أبا جهل وأبا سفيان والأخنس ابن شريقي خرجوا ليلة ليسمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم - وهو يصلى بالليل في بيته، فأخذ كل رجل منهم مجلساً ليستمع منه، وكل لا يعلم بمكان صاحبه، فباتوا يستمعون له حتى إذا أصبحوا وطلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق فتلاؤموا، وقال لبعضهم لبعض: لا تعودوا فلو رأكم بعض سفهاءكم لأوقعتم في نفسه شيئاً، ثم انصرفوا، وتكرر هذا الأمر ثلاث ليال، حتى قالوا: "لا نبرح حتى نتعاهد أن لا نعود ، فتعاهدوا على ذلك ثم تفرقوا، فلما أصبح الأخنس بن شريقي أخذ عصاه ثم خرج حتى أتى أبا سفيان في بيته وسأله عن رأيه فيما سمع قال أبو جهل : "ماذا سمعت؟! تناز عنا نحن وبنو عبد مناف الشرف ، أطعمنا فأطعمنا، وحملوا فحملنا ، وأعطوا فأعطينا ، حتى إذا تجاثينا على الركب، وكنا كفرسي رهان قالوا: منا النبي يأتيه الوحي من السماء، فمتى ندرك هذه ؟ والله لا نسمع به أبداً ولا نصدقه !".

انظر إلى هذه القيم وماذا تفعل بالبشر !

أما عن أثر المبادئ - وهو الأهم - على استثمار المواقف فالشواهد عليه لا تحصى، وسنعرض لموقف فريد منها، لم يتكرر في القرآن الكريم، ولم يذكر صاحبه إلا في هذه السورة التي حملت اسمه ، إنه النبي يوسف - عليه الصلاة والسلام .

وستتوقف قليلاً عند هذا الموقف ونتأمله! كما وصفة الله - عز وجل- في محكم تنزيله . رزق الله يوسف - عليه السلام- بجمال أخاذ في الخلقة ، وعقل راجح ، وفصاحة في البيان و... مما جعله محط أنظار الناس . وسكن في بيت العزيز - حاكم مصر - بعد أن اشتراه بثمن بخس!! ، وأعجبت به امرأة العزيز : ((وَرَأَوْدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَادَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَتَوَايِّ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ * وَلَقَدْ هَمَتْ بِهِ وَهَمَ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لَنْصَرَفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ * وَاسْتَبَقَ الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبْرٍ وَأَلْفَيَا سَيَّدَهَا لَدَّا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)) [يوسف ٢٣-٢٥].

كانت الظروف كلها - مهيبة تقريراً لحدوث ما لا تحمد عقباه ، إن حب الشهوات طبع بشري عالجه يوسف - عليه الصلاة والسلام- وأزاله بالمبدأ السامي (طاعة الله) ، والذي هو عقيدة كل مسلم . وختاماً فإن الفرد - منا - بحاجة إلى مبادئ صحيحة يعتقد بها وتتير دربه ، وقيم صالحة ينتقيها ، وطبعاً بشرية يهذبها ، ليكون الاستثمار الأمثل للحياة .

نحو وعي إسلامي سياسي

عبد الرحمن البشير

إلى الأمة المسلمة، إلى الأمة العربية: أي إسلام تريدون؟ أتریدون الإسلام المستأنس، أم إسلام الخوارج ، أم إسلام الكتاب والسنة؟

لأن الإسلام من عند الله الذي لا يحابي أحداً ، ولا تكريمه عنده إلا للتقى ، ولأن التقوى منزلة عزيزة المطلب ولأن حب التسلط من طبع البشر ولا يتخلص إلا القليل منهم من نوازع نفسه وحب ذاته؛ ولأن الآية والحديث سيف في يد قائلهما ؛ لكل ذلك لا بد للسلطان الذي يحكم الهوى أن يستأنس إسلاماً يسانده في سلطانه ويتحقق منافعه ويستخدمه سلحاً ضد أعدائه . وعملية استئناس الإسلام عملية قديمة قدم الانحراف عن منهج الكتاب والسنة، وستستمر ما بقي سلطان في الأرض يحكم بالإسلام اسمياً، وبالقرآن رسمياً والمصالح والأهواء عملاً وواقعاً .

والمستفیدون من ذلك يرون لزاماً عليهم أن يقربوا رجالاً يتذمرون بزي الدين فينطقونهم حيث يردون ويسكتونهم حيث يشاورون ، ويضع هؤلاء لهم من الفتوى ما يناسب أذواقهم وأهواءهم ، ويفصلون لهم من الدين أثواباً على قياسهم ، ولذلك فالإسلام المستأنس إسلام عجيب ، إذا كان السلطان يطبق النظام الشيوعي كان الإسلام المستأنس شيئاً عجيباً وكذلك إذا كان اشتراكياً لا ترى ولا تسمع إلا الأحاديث التي تشيد بالمساوة وآيات الإنفاق ، وإذا كان السلطان يطبق النظام الرأسمالي بكل احتكاراته وظلمه وغشمه لا تسمع إلا: "إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام" .

والبيوم حيث تتشابك السبل وتشتبه النصوص وتقل المعرفة ويستأنس علماء الإسلام بالترغيب تارة وبالترهيب أخرى ، ويصنع لكل سلطان في كل بلد جبهة إسلامية تناسبه في الشكل والموضع يخرج فكر الخوارج من معاقله فنسمع عن جماعات التكفير والهجرة وعلى شاكلتها .

وإسلام الكتاب والسنة ليس هذا ولا ذاك ، إنه إسلام مهند ينطق بالحق ولا يبرر الواقع ، ويصدع بالنص كما يريد الله ورسوله ، ولا يلوى عنقه ليوافق أهواء الناس . إسلام الكتاب والسنة هو الإسلام الكامل الذي أنزله الله لا يجامل أحداً ، ولا يستغل أحد ، يقوم عليه علماء نذروا أنفسهم الله وتواضعوا له فرفعهم وأخلصوا نياتهم فأشرقت قلوبهم بنور الوحي فعرفوا طريقهم وعظموا الله فذل كل جبار في أعينهم ، وتواصوا بالمرحمة فعلموا الجاهل وأرشدوا الحائر وصبروا على إساءة الظالم طمعاً في هداية الخلق ورغبة في ثواب الخالق ، فأي إسلام تريدون يا أمتنا .

من نشاطات المنتدى

أقام المنتدى الإسلامي بلندن يومي السبت والأحد ٢١ - ٢٢ جمادى الآخرة الملتقى الثقافي الحادي عشر . وقد استضاف فيه الشيخ الدكتور محمد بن سعيد القحطاني أستاذ العقيدة بجامعة أم القرى ، والشيخ الدكتور يوسف عبد الله الوابل أستاذ العقيدة بالمعهد العلمي بمكة المكرمة . وقد اشتمل الملتقى على المحاضرات :

- * الخلاف في العقيدة : جذوره -أسبابه - علاجه
- * علاقة المسلمين بغيرهم .

كما شارك الشیخان الفاضلان في ندوة عن "قضايا التكفير وضوابطه" بالإضافة إلى فقرات أخرى . واختتم الملتقى بلقاء مفتوح مع أئمة المشاركيين .

هذا وقد تواجد إلى الملتقى أعداد كبيرة من الرجال والنساء من جميع أنحاء بريطانيا .

كما زار الشيخ محمد سعيد القحطاني مدينة شيفيلد في وسط بريطانيا ، وألقى فيها محاضرة عن "ثوابتنا ضد المتغيرات الجديدة" ولنفس الغرض زار الشيخ يوسف الوابل مدينة بورتسموث في جنوب بريطانيا .

والمنتدى الإسلامي يشكر الشیخین الفاضلين على هذه الزيارة المفيدة ، وعلى المحاضرات القيمة ، ويشكر جميع الإخوة الذين شاركوا في الملتقى .

كما نعلن للإخوة أن أشرطة المحاضرات السابقة متوفرة ، ويمكن طلبها من مكتبة المنتدى .

بريد القراء

*** الأخ نجوى دمياطي :**

مكتبة شبكة مشكاة الإسلامية

هدية لمكتبة شبكة مشاكرة الإسلامية

شكراً لك على مشاركتك الجيدة والمستمرة للمجلة ، ونعتذر عن نشر مقالك الأخير "قرأت لك" لأن المقال خرج طويلاً جداً ولأنه لم يراع الأسلوب المناسب لعرض الكتب حيث خرج بشكل مختارات من الكتاب وليس عرضاً له ونرحب بمشاركاتك مستقبلاً .

* الاخ محمد محمد بدري :

شكراً على مشاركتك الجيدة في المجلة ونعتذر عن نشر مقاليك الآخرين ، لأن الكتاب الذي عرضته "رؤية إسلامية في أحوال العالم الإسلامي المعاصر" لم يعد جديداً الآن . والمقال الآخر عن الشرك قد كثر الحديث عنه على صفحات المجلة كما تعلم ، ونرحب بمشاركاتك مستقبلاً ، شاكرين لك اهتمامك بالمجلة .

* الأخ أبو عبد الرحمن الحمروي :

كتب مقالاً يحذر فيه من تقصير كثير من الشباب في أمر العبادة وبخاصة الخشوع في الصلاة معذرين بقصة عمر رضي الله عنهـ أنه كان يجند الأجناد ، وهذا إذا كان حدث لعمر -رضي الله عنهـ مرة واحدة فكيف يجعلون منه قاعداً في تشاغلهم عن الروحانية في الصلاة بما ترونه إهتماماً بالدعوة فالذي يهتم بالدعوة أولى به تمام الاهتمام بالصلاحة والخشوع فيها .

* الأخ محمد سعود الطيار:

نشكرك على ثقتك وسائل الله أن تكون عند حسن ظن كل مسلم ، أما عن المنتدى فليس له معهد لدراسة اللغة الإنجليزية وبه مدرسة إسلامية باللغة الإنجليزية والعربية ، أما اللقاءات الإسلامية فهي في أوقات متعددة خلال كل عام والدورة الشرعية خلال شهر أغسطس .

الصفحة الأخيرة
قدْرُنَا وَقَدْرُهُم

عبد الله القحطاني

حملت وكالات الأنباء الغربية في نفس اليوم الذي اعتقل فيه زعيم جبهة الإنقاذ المؤقت خبراً مفاده أن نحو مائة من رؤساء الزوايا الصوفية في الجزائر أعربوا عن تأييدهم للمجلس الأعلى للدولة ورئيسه بوضياف، وأصدر هؤلاء بياناً بعد اجتماع عقد في "ادرار"، في الصحراء الجزائرية.. وأضاف الخبر معرفاً بهذه الزعامات: "والزاوية مركز لتعليم القرآن تقام عادة في جوار ضريح أحد الأنبياء، وتحمل اسمه، وكانت رابطة العلماء بقيادة ابن باديس قد نددت في الماضي، باليزوايا وعلمائها بعد الاستثناء بتعاونها مع السلطات الفرنسية (١٨٣٠ - ١٨٦٢) .

الذين لم يخضعوا لظلم ، ولم تكن تأخذهم في الله لومة لائم . وكلمات ابن تيمية لا زالت حية تتنطق : "ما ذا يفعل أعدائي بي أنا جنتي في صدري .. إن سجني خلوة ، ونفيي سياحة وقتلني شهادة" !

قدر هذا الفريق أن يبقى رافعاً لواء السنة والجماعة على مر العصور ، ومدافعاً عن هذا الدين ، مجاهداً في سبيله ، ولهم الفضل ، بعد الله ، بأنهم يحفظون هذا الدين غضاً كما أنزل على محمد - صلى الله عليه وسلم - وأتباعه إلى يوم الدين ، لا يصدّهم عن دين الله من خالفهم أو من خذلهم .. أما قدر الخرافيين والراقصين في الموالد والمأدب فهو العمالة والذل والاندحار عند كل نازلة تنزل بأهل الإسلام ...

تمت بعون الله والحمد لله
